

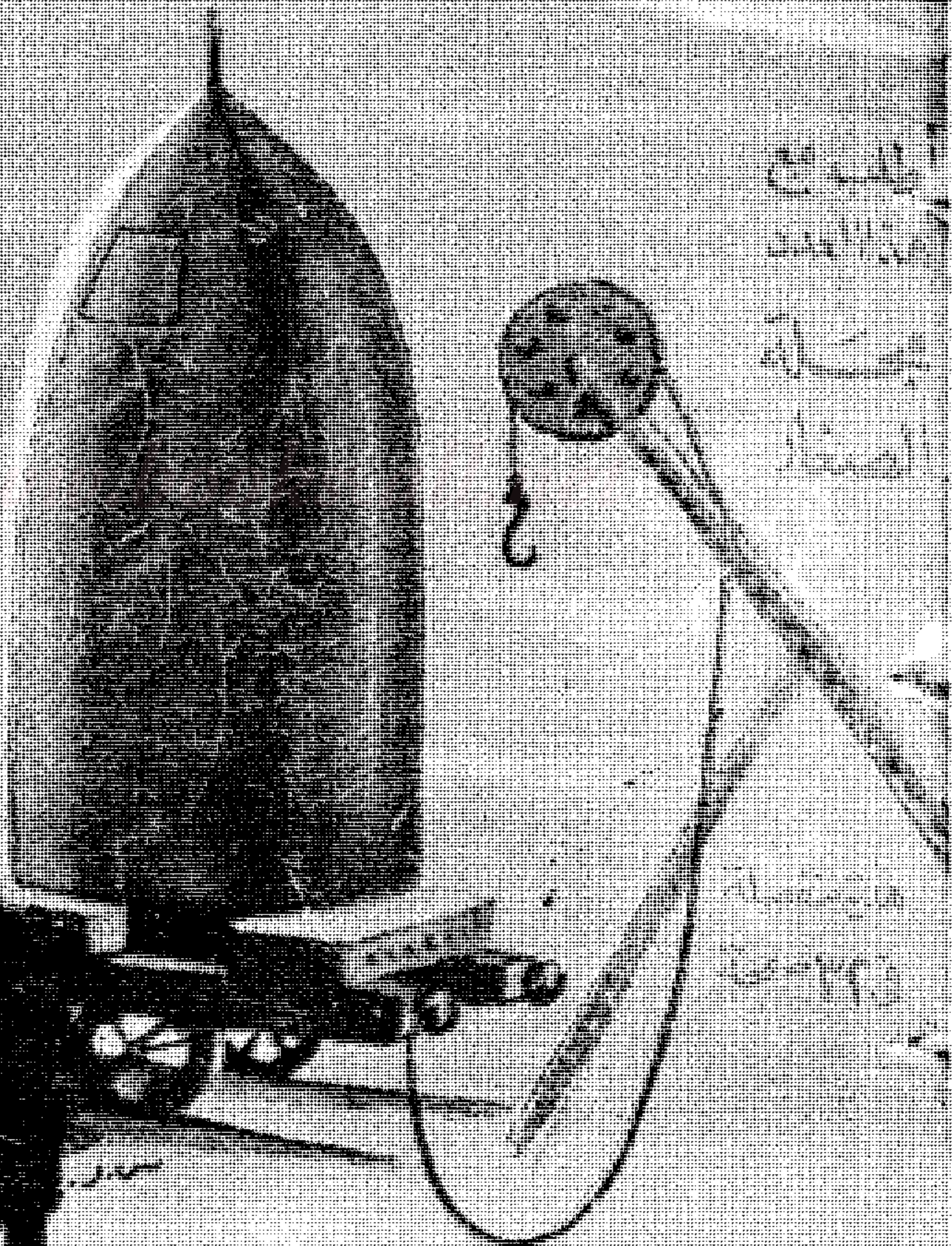


حلمي مراد

من الأرض

إلى القمر

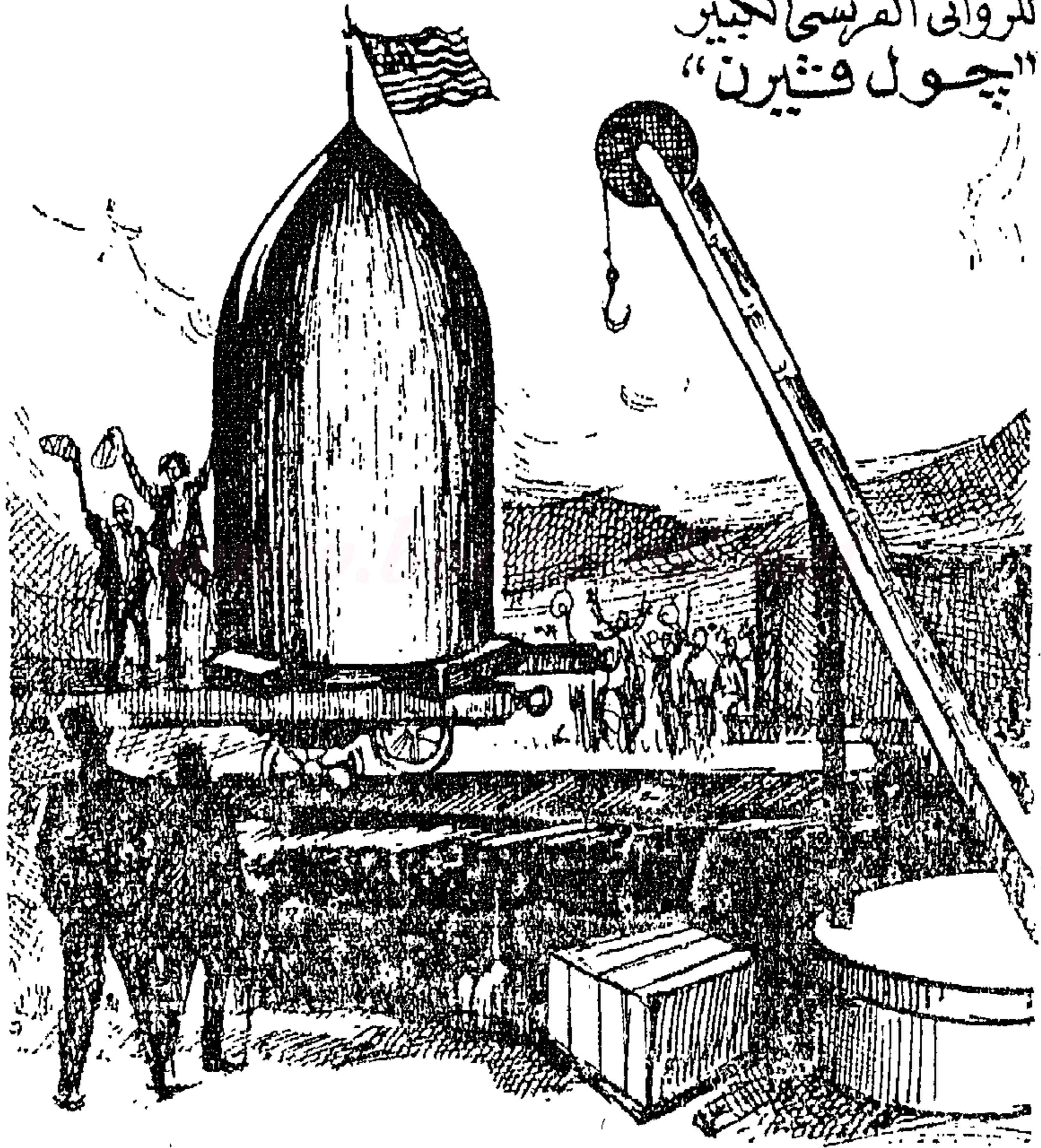
وكتبت
أخري



الرواية التي تنبأ فيها "جول فيرن"
منذ 150 عاماً: يهبط الإنسان فوق القمر!

من الأرض إلى القمر!

للروائي الفرنسي الكبير
"جول فيرن"



DE LA TERRE A LA LUNE

PAR : JULES VERNE

عرض وتلخيص : ميشيل تكلا

بين خيال الروائي .. وواقع العلم

ظل القمر - منذ بدء الخليقة - يشار انبهار الانسان ومحور
قسط كبير من تفكيره ..

عبده اقوام ، واستانس به - في ليالى السهاد - عشاق ، وناجاه
شعراء وادباء ، واستلهمه فنانون اجمل التحف الفنية .. وحلم
الكثيرون بالصعود اليه ! .. وظلت عقول العلماء تعمل وتعمل لتسخير
العلم في سبيل الوصول اليه !

واستطاع الأدب ان يسبق العلم بقرن وبضع قرن .. فمنذ مائة
عام واربعة ، تخيل الروائي الفرنسى « جول فيرن » - في الرواية
التي نلخصها لك في الصفحات التالية - كيف يقدر للعلم ان ييسر
للانسان الوصول الى القمر .. وكان اعجب ما في روايته هذه ، ان
خياله اوشك ان يطابق كل ما حدث في صيف عام « ١٩٦٩ » ،
منذما هبط على سطح القمر اول رائدين من البشر ، خلال رحلة
« ابوللو ١١ » .. وهى الرحلة التى تبعتها في شهر (نوفمبر)
١٩٦٩ رحلة « ابيللو ١٢ » ..

وفي الصفحات التالية ، نلخص لك رواية جول فيرن « من الارض
الى القمر » ، ثم نردفها بتطويب بين مدى التقارب الملهم بين
تنبؤاته وبين ما حدث فعلا ، بعد اكثر من قرن كامل من الزمن !

« جول فيرن » .. فى سطور

(١٨٢٨ - ١٩٠٥)

• كتب « جول فيرن » - خلال حياته الطويلة المثمرة (٧٧ عاما) - ٨٠
قصة طويلة او رواية ، الى جانب كتبه غير الروائية ، التى منها : « الجغرافيا
المصورة لفرنسا ومستعمراتها » (١٨٦٨) ، « تاريخ الرحلات الكبرى
والرحالة الكبار » (١٨٧٨) ، « كريستوف كولب » (١٨٨٢) .. كما
اشرف ، او شارك فى الاشراف ، على ١٥ مسرحية ..



• بدأت شهرته تعم ، وتلفت اليه الانظار ، في الاعوام من ١٨٦٢ الى ١٨٦٥ ، حين نشر رواياته الثلاث الاولى ، والكبرى : « اسابيع في منطاد ، رحلة الى جوف الارض ، من الارض الى القمر .

• عاش « جول فيرن » في القرن الذي انجب كل هؤلاء العباقرة من الروائيين : بلزاك ، ديكنز ، ديماش ، الاب ، تولستوى ، دستوفسكى ،

ترجيف ، فلوير ، ستندال ، جورج آيوت ، زولا .. لكنه يقارن ، أكثر ما يقارن - في عبقريته وقوة خياله - ب « ديماش الاب » ، مع فارق واحد : فبينما سلط الاول اشعاع خياله على « الماضي » يستخرج منه أروع الروايات ، سلط الثاني هذا الاشعاع على المستقبل ، يستنبئه اعجب النبوءات ، التي تحققت الكثير منها - ويا للعجب ! - بعد نصف قرن من نبوءاته ، وحيانا بعد قرن كامل !

• والقارئ لروايات « جول فيرن » يعجب لهذه الطاقة الخارقة من الخيال وقوة الابتكار عند هذا « الساحر » الذي عكف (طوال خمسين عاما كاملة !) على تطويع الكشوف العلمية غير المنظورة في عصره ، لمجوده اليومي في الخلق والابتكار ، على صفحات رواياته العديدة الباهرة . ولكن هذا لا يعنى انه قدم الوسائل التكنولوجية التي تسمح بتحقيق احلامه « المستقبلية » .. فهو ليس عالما هندسيا مثل « اديسون » مثلا ، ولا ميتافيزيقيا يحمل رواد فضائه روح « باسكال » في رحلاتهم الكونية ، ولا عالما في الاجتماع ، يضمن روايته ذات الطابع التاريخي « ميشيل ستروجوف » تحليلا خفيا للقوى الثورية في روسيا القرن التاسع عشر .. وانما تقييمه الصحيح انه يعد « شاعر » القرن التاسع عشر ، أكثر منه « مهندس » القرن العشرين !

• وقد ولد « جول فيرن » في مدينة (نانت) بفرنسا ، في ٨ فبراير عام ١٨٢٨ . وكان جده لآبيه قاضيا ، فاتجه أبوه « بيير فيرن » في عام ١٨٢٥ لدراسة القانون ، وفي عام ١٨٢٧ تزوج من أمه « صوفي ألوت دي لا فوى » ، التي تنتمي الى أسرة من رجال الملاحة وصناع السفن . ورزق الزوجان ولدين : « جول » ، ثم « بول » (١٨٢٩ - ١٨٩٧) ، و ٣ بنات .

• وفي سن السادسة بدأ يتلقى تعليمه ، وفي سن ١١ سنة أبحر خلسة الى الهند على سفينة صغيرة ، لكن أباه لحق به في (بامبوف) ، حيث اعترف بأنه سافر ليشتري لابنة عمه « كارولين » عقدا من المرجان . . فلما هفنه والداه بشدة وعد بالاقلاع عن السفر مدى الحياة « الا في الأحلام » . . وفي سن ١٦ التحق بمدرسة الليسييه في (نانت) حيث اتم تعليمه حتى حصل على البكالوريا وبدأ دراسة القانون كإبيه . . دون أن ينسى حبه لابنة عمه « كارولين » ، حتى تزوجت في عام ١٨٤٧ ، فأدركه اليأس . . .

• وخلال تلك السنوات بدأ يكتب أشعارا فنائية ، ثم وضع مسرحية شعبية رفض مسرح العرائس تمثيلها ، فحصل على إذن من أبيه بإكمال دراسة القانون في باريس ، حيث التحق بالمدرسة المسرحية في لمتها . وفي العاصمة أقام في غرفة مفروشة مع زميل ، كان يتبادل معه سترة السهرة الوحيدة لديهما ، ليحضر سهرات المسارح . . وصام عن الطعام ٢ أيام ليشتري مسرحيات شكسبير . . واستمر في الكتابة ، وتعرف ب « ديماس الاب » ، الذي أوحى اليه بفكرة ٣ مسرحيات ، مثلت احداها في « المسرح التاريخي » في ١٢ يونيو ١٨٥٠ ، لمدة ١٢ ليلة . . ثم مثلت في مسقط رأسه (نانت) . . وأقره النجاح فكتب مسرحيتين أخريين ، لم تمثلا .

• وأنهى دراسة القانون في ١٨٥٠ ، لكنه رفض ممارسته ، مؤثرا مزاولة هوايته المفضلة : الأدب . . مستعينا على المعيشة بإعطاء الدروس الخاصة . . وفي ١٨٥٢ نشر أول قصتين له ، هما (السفن الأولى للبحرية المكسيكية) و (رحلة في منطاد) ، ثم أتبعهما بقصته الطويلة الأولى ، التاريخية العاطفية « مارتان باز » . وفي العام التالي مثلت له « أوبريت » من فصل واحد . ثم عكف على التأليف في مسكنه الصغير بشارع (بون نوفيل) ، فنشرت له رواية : السيد زاكارايوس (١٨٥٤) ، شتاء فوق الثلوج (١٨٥٥) .

• وفي ١٠ يناير ١٨٥٧ تزوج من « أونورين آن هينيه موريل » ، وكانت أرملة في سن ٢٦ ، ولها ابنتان من زوجها الأول . ثم انتقل للإقامة في شارع مونمارتر ، وتتابعت كتبه من رحلاته : الى إنجلترا واسكتلندا (١٨٥٩) ، والنرويج وسكندينافيا (١٨٦١) . وفي ٣ أغسطس ١٨٦١ رزق بطفله الوحيد الذي لم يرزق سواه : « ميشيل فيرن » . وفي العام التالي قدم روايته الجديدة (أسابيع في منطاد) الى الناشر « هيتزيل » ، فتعاقد معه على نشر كتبه لعشرين عاما تالية . وحقق الكتاب نجاحا ساحقا ، في فرنسا والخارج ، فبدأ ترجمه في التالق ، وأشركه الناشر في انشاء مجلة

نادى السلاح

● أثناء الحرب الفيدرالية في الولايات المتحدة الأمريكية ، تأسس في بلدة (بالتيمور) - بولاية ماريلاند - ناد اكتسب شهرة وتفوذا ، أطلق عليه « نادى السلاح » . . وكان يضم مجموعة نادرة من العسكريين المتقاعدين ، الذين كانت لهم صولات وجولات في المعارك وفنون الحرب ، وان لم يتخرج معظمهم في الكليات الحربية . . واستطاعوا بقدرتهم وكفاءتهم ان يحققوا انتصارات عظيمة . .

والحق ان العسكريين الأمريكيين تفوقوا على اقرانهم الأوربيين في علوم الفلك ورصد الكواكب ، كما بلغت أسلحتهم من الكمال درجة رفيعة لم يبلغها سواهم . . وقد لا يثير هذا دهشة ما ، اذا عرفنا أن « اليانكيز » كانوا ميكانيكيين بظرفتهم ، ومهندسين أفذاذا بالسليقة . . وكانوا مفرمين بصنع المدافع الضخمة طويلة المدى ، وقد قويت المنافسة بين الشماليين منهم والجنوبيين ابان الحرب الفيدرالية ، التي استخدمت فيها الأسلحة الرهيبة الفتاكة ، فتطور علم السلاح تطورا سريعا عندهم .

وغريب امر الأمريكيين ! . . فعندما تختبر فكرة في واس احدهم ، يبحث في الحال عن أمريكي آخر يشاركه تنفيذها . . واذا اجتمع ثلاثة بادروا الى تعيين واحد منهم رئيسا ، واصبح الآخرون سكرتيرين . . واذا كانوا اربعة ، فسرعان ما ينشئون شركة ، اما اذا كانوا خمسة فانهم يؤسسون ناديا . .

وهكذا أسس نادى السلاح ، وبعد شهر واحد بلغ اعضاؤه ١٨٣٣. عضوا عاملا ، و ٣٠٥٧١ عضوا منتسبا . . وكان شرطا على كل راغب في الانضمام ، ان يكون على عام

ودراية بمختلف أنواع الأسلحة .. وعن طريق النادي حقق عدد كبير من الأعضاء عدة مخترعات لها أهميتها ، فاخترع بعضهم صواريخ فضائية ، وصمم بعض آخر مركبات فضاء كذلك ، حتى بدت الأسلحة الأوروبية بدائية أمام الأسلحة الأمريكية .. وقد فتكت هذه الأسلحة بعدد كبير من الثوار الجنوبيين ، ووضعت حدا للحرب الضروس .



ولكن عددا من أعضاء نادي السلاح ، ظلوا - برغم انتهاء الحرب - يحلمون بالمدافع والقنابل ، ويقضون الوقت في وضع تصميمات يعرضونها على جدران النادي ، أو يتركونها مبعثرة في قاعاته ، وليس إلى تنفيذها من سبيل ، لما كان يتطلبه ذلك من مال ، ولأن الحرب - التي يمكن أن تختبر فيها هذه الأسلحة الرهيبة - كانت قد انتهت .

هكذا كان العسكريون المحترفون يقضون أوقاتهم في النادي ، يتذاكرون أمجاد الحرب ، ويتشددون بقصص البطولة ، ويرتقبون الفرص لأعمال خارقة لم ياتها انسان من قبل .. الا يمكن لهذه الصواريخ القوية أن تنقلهم - مثلا - إلى الفضاء الخارجي .. إلى القمر أو النجوم أو الكواكب في يوم قريب ؟ .. وهكذا كان السفر في الفضاء يستهويهم ، فيحلمون به .

وذاذات ليلة ، جلس ثلاثة من أعضاء النادي ، وقد سيطر عليهم الحزن والشroud .. وأخيرا ، تململ أحدهم - وكان يدعى « توم هانتر » - وبدأ يقلب نار المدفأة بساقيه الخشبيتين ، ثم قال :

- شيء محزن حقا .. لا عمل تؤديه ، ولا خلاص من الملل .. أين ذلك الوقت الذي كان صوت المدفع فيه يوقظنا

من أعمق سبات ؟ يا لها من حياة كئيبة ! .. أصبحنا عاطلين ، لا عمل لنا بعد أن كسدت صناعة البنادق .. ما لذة الحياة بعد أن ذهبت عنا متعة العمل والكفاح ؟ !

فأشار ثاني الرجال - وكان يدعى « بيلسبي » - بذراعه الوحيدة نحو صور الأسلحة المعلقة ، وكان قد فقد ذراعاً اثر حادث انفجار ، وقال : « هذه آثارنا تدل علينا ! .. لقد انقضت تلك الأيام ! .. أيام كان الناس يتقاطرون فيها على المصانع يطلبون السلاح ، وكان اطراؤهم يلهب حماسنا فنقضي الأيام والليالي أمام البواتق والأفران نشكل الحديد والصلب ونخضعهما لرادتنا ، فنخرج للناس آيات من أنواع السلاح .. ولكن ، سبحان مغير الأحوال ، لقد انصرف الناس الى أعمالهم وتجارتهم ووظائفهم .. أي عصر هذا ! .. الناس - سامحهم الله - يريدون اليوم مزيداً من السيارات الأنيقة .. واثجنود ينصرفون الى عمل غير القتال .. والقادة استبدلوا مدافعهم بتجارة القطن .. ان مستقبل أمريكا في السلاح قد ضاع ! »

وعقب الثالث - وكان يدعى « ج. ت. ماستون » - على حديث زميله بقوله : « لقد أطلت التفكير ، وسهرت الليالي لتصميم مدفع ثقيل قد يغير استراتيجية الحرب .. ولكن ، ما من أنسان يعاونني .. أين ذهب محبو السلاح ؟ .. اذا كانت الحرب قد انتهت ، فلا بد لحرب أخرى أن تتفجر يوماً .. ماذا دها الناس ؟ .. لقد كسدت بضاعتنا .. يا للمأساة ! »

وتلفت حوله يستشف وقع كلامه على وجوه الآخرين .. كان ماستون من أشهر العلماء ومصممي البنادق والمدافع .. ذاع صيته لمقدرته الخارقة على إنتاج عدد كبير من الأسلحة الفتاكة ، كما كان ضخماً عملاقاً ، يبدو زميلاه أمامه كأنهما طفلان صغيران .. عاد يقول ، وهو يتراجع في

مقعدہ : « يبدو أن سكان العالم الجديد قد وحدوا كلمتهم على عشق السلام أو التعايش السلمى مع جيرانهم من سكان القارات الأخرى ! .. لقد تنبأت صحيفتنا « الترييون » بعدة كوارث من جراء الزيادة الفادحة في السكان ! »

قال هانتز : « هذا ما يدفعنى الى أن أصبح فلاحا .. وأعيش ما بقى لى من أيام على ذكرى البنادق وأشكالها وأحجامها وطلقاتها » .. فأردف بليسى : « أما أنا ، فلا أستطيع الفلاحة بيد واحدة .. سأصبح مدرسا اتحدث الى تلاميذى عن البنادق ومجدها التليد ! »

فصاح ماستون : « ولكنى يا سادتى ، سأواصل تصميم المدافع ، برغم حقوق الناس وكساد بضاعتنا ، ولو ظلت التصميمات حبيسة مكتبى .. فلست أعرف شيئا منوى تصميم البنادق والمدافع .. ان لسكان العالم القديم افكارا تقدمية تختلف عما لدينا .. ولن يعترفوا بخبرتنا العسكرية وقوة مدافعنا الا اذا راوها بأنفسهم .. ان امامنا فرصة نادرة ، هى تجربة الصواريخ .. لن يهتلىء الجو - بعد اليوم - بطلقات مدافعنا ، ولكن يوسع صواريخنا ان تمرق فيه الى عوالم أخرى .. »

* * *

و يدخل المكان خادم يحمل ثلاثة خطابات ، قدم لكل واحد منهم خطابا يحمل اسمه .. وفضوا الرسائل فى فضول ، فاذا بها متشابهة :

« بالتموز فى ٣ اكتوبر :

« يتشرف رئيس نادى السلاح بدعوة زملائه الأعضاء الى اجتماع عاجل ، فى اليوم الخامس من هذا الشهر ، سيعلم فيه نبأ هام .. - ايمبى باربيكان »

محاضرة الرئيس باربيكان

فصاح البهو الكبير في « نادى السلاح » بالناس في مساء ٥ أكتوبر ، إذ أن الاعلان الذي نشره الرئيس « باربيكان » بثتى وسائل الاعلام ، أوحى لأهل (بالتي مور) جميعا بأن النادى أعد اجتماعا خطيرا . . وكان المقعد الذي أعد للرئيس عبارة عن عربة مدفع استخدمت في معركة (الطرف الأغر) . . أما المائدة ، فصنعت سيقانها من البنادق القديمة ، وغطى سطحها بقطعة من الصلب شقت من جانب بارجة قديمة مشهورة . . واستوت الى جوارها سبورة ضخمة .

في الثامنة الا دقيقة واحدة ، اقبل الرئيس « باربيكان » . . كان طويلا ، نحيفا ، في الأربعين من عمره ، ذا عينين زرقاوين باردتين . . ولم يكن يتكلم الا بقدر معلوم ، ولكنه كان طيب القلب ، استثمر أمواله في التجارة . . وكان يختلف عن بقية أعضاء النادى ، في أنه ظل متكامل الأعضاء ، لم يفقد ساقا أو ذراعا .

واتخذ الجميع مقاعدهم ، وبينهم من اضطر الى الوقوف على جانبي القاعة . وساد الصمت . .

وفي تمام الثامنة ، بدأ خطابه . . تحدث عن الكساد الذي اعقب الحرب ، وقال :

« . . اننا لا نحب البطالة . . والعلم لا يمكن ان يقف جامدا . . وقد دعاني هذا الى التفكير في خطة درستها مرات ومرات . . انكم ولا ريب قد رأيتم القمر ، وهو - كما تعلمون - كرة في السماء قطرها ٢١٦٠ ميلا . . »

ورسم على السبورة الكرة الأرضية ، وكتب تحت قطرها ٧٩٢٧ ميلا . . وفي الركن المقابل رسم القمر ، وكتب تحت قطره ٢١٦٠ ميلا ، واستطرد قائلا :

« بوسع جندي ماهر أن يصيب دائرة قطرها بوصتان من مسافة تتراوح بين مائة وثلاثمائة ياردة ، وتستطيع طلقة مدفع من إحدى بوارجنا أن تصيب دائرة قطرها بوصتان ، على بعد ميل واحد . ولكن أمامنا الآن كرة قطرها ٢٠٠٠ ميل . . . ومن المؤكد أن نادي السسلاح يستطيع اصابتها إذا شاء . . . »

وسرت بين القوم غمغمة ، ولكنه تجاهلها ، واستأنف قائلاً :

« أن القمر بعيد عنا بمقدار ٢٥٣ ألفاً من الأميال ، في أقصى نقاط بعده عن الأرض ، أو - أن شئنا الدقة - هو يبعد عنا بمقدار ٢٥٢٧١٠ أميال . ولكنه لا يدور حول الأرض دورة كاملة الاستدارة ، وعندما يقترب مداره من الأرض ، يكون البعد بينه وبينها ٢٢١٤٦٣ ميلاً فقط . . . ومما لا شك فيه أن المسافة بعيدة جداً ، إذا كان على طلقتنا أو مركبتنا الفضائية أن تمرق في الهواء طيلة الوقت . . . ولكن الهواء يقل وينقل كلما ارتفعت الطلقة أو المركبة عن الأرض ، وعلى ارتفاع مائتي ميل ينعدم الهواء تماماً ، فيتسنى للطلقة أو المركبة مواصلة رحلتها خلال الفراغ . . . »

وصاح أحد الأعضاء : « برغم هذا كله ، فالمسافة بعيدة جداً . »

فالتفت إليه قائلاً : « ليست كما تتصور ، فعندما تقطع الطلقة أو المركبة خمسة أسداس المسافة ، يجذبها القمر نحوه ، فتشرع في الهبوط فوقه . وفي السبعة والثلاثين ألف ميل الأخيرة ، لا تحتاج الطلقة إلى قوة دافعة ، لأنها تكون في حالة هبوط مستمر . »

وساد الحضور صمت قريب ، وقد راحوا يتصورون الهبوط على القمر في مخيلاتهم . ولكن أحدهم - وكان يدعى

الكابتن نيقول - هب واقفا في نهاية القاعة ، ليبدى رأيا . .
كان صغير الجسم ، أحمر الوجه ، مارس صناعة الصلب أثناء
الحرب . وكان غريما لباربيكان ، فكلما صنع هذا بندقية
يخترق رصاصها أى نوع من الصلب ، صنع « نيقول » نوعا
جديدا من الصلب منيعا على طلقات البندقية الجديدة .

قال كابتن نيقول : « لن يبدو الأمر بهذه السهولة ، اذا
امعن الانسان في تأمله . فلكي تهرب الطلقة من الجاذبية
الأرضية ، لا بد ان تنطلق بسرعة سبعة أميال في الثانية . .
فهل هناك جهاز يرسل الطلقة بهذه السرعة ؟ »
فاجاب باربيكان بهدوء : « نعم . . هناك قذيفة اسمها
آتوميت . . »

وصاح الكابتن ساخرا : « قذيفة ! . . ولكن اين المدفع
الذي يطلقها ؟ . . ما من نوع من الصلب يمكن ان يصنع منه
مدفع يتحمل قوة هذه القذيفة . . »
- لن يصنع المدفع من الصلب ، فهناك معادن أقوى منه ،
وقد صار استخدامها ممكنا بعد الحرب . .

ووقف رجل وخط الشيب شعره ، فتكلم بصوت خافت
رصين . . كان عالما مرموقا يدعى الدكتور « ييلفاست »
تجاوزت دراساته البنادق الى النجوم . . فقال : « وكيف
ستعرف ان قذيفتك بلغت القمر ؟ . . ان اكبر « تليسكوب »
لا يزيد قطره على عشر اقدام . . »

قال باربيكان : « بل تسع . . ولن يزيد قطر طلقتنا على
تسع اقدام . . »

قال الدكتور ييلفاست : « شكرا . . اذا أمكن اطلاق قذيفة
ك هذه ، فمن الميسور التأكد من سقوطها فوق القمر ، وقد

يتسنى استخدام ضوء باهر للدلالة على ذلك . . ولا أملك
الجزم بإمكان صناعة مدفع ضخمة . . »

ولم تبلغ بقية كلماته الأذان ، اذ نهض نيقول قائلاً : « هلا
اخبرنا الرئيس بطول المدفع الذى يطلق قذيفة بهذا الحجم ؟
. . ان طول المدفع عادة ، يعادل قطر القذيفة ٢٥ مرة . . أى
أى مدفعك سيبلغ طوله ٢٢٥ قدماً ، فيما أرى . . فهل يعتبر
هذا الطول مناسباً ؟ »

ونهض ريتشارد بيلسبى ، فقال : « ٢٢٥ قدماً . .
لا اظنه طويلاً كافياً ، فان قذيفة كهذه ستطلق كميات هائلة
من الغاز . . والمعروف أن الغاز الذى تطلقه القذيفة المادية
يحد من سرعتها . . »

وبدت فى عيني « نيقول » نظرة غريبة ، وهو يتساءل :
« ما طول المدفع ؟ »

فأجاب باربيكان بهدوء : « تسعمائة قدم . »

« ها ! . . تسعمائة قدم ؟ . . وكيف يمكن لصديقنا
تحريكه لاحكام تصويبه الى القمر ؟
قال الضالم المكتهل ، وهو جالس فى مكانه : « لا داعى
لتصويبه نحو القمر . »

وكان الرئيس باربيكان ينصت ، دون أن يلفظ بكلمة
واحدة ، والسرور يفمره لأن الموضوع استهوى القوم . .
ونهض « توم هانتر » الذى كان يود أن يصبح فلاحاً ، وكان
يقبل فى أوقات فراغه على صيد الطيور ، فقال : « انك
لا تطلق بندقيتك على الطائر ، وانما على المكان الذى تقدر أن
الطائر سيصل اليه عندما تنطلق القذيفة . . وأظن أن الرئيس
باربيكان سيطلق مدفعه على المكان الذى يرى أن القمر
سيبلغه فى السماء . . »

وأمن باربيكان على قوله . . وخلال الصمت الذى رآن

على المكان ، قال الدكتور بيلفاست :

— سيصوب المدفع نحو مكان في السماء ، يكون فيه القمر على بعد ٢٢١٤٦٣ ميلاً من الأرض .. ولكن كم من الوقت تستغرق القذيفة للوصول الى القمر ؟

فأجاب باريكان : « سألت بعض أصدقاء بجامعة شيكاغو أن يحددوا الرد الصحيح .. لو اندفعت القذيفة طوال الوقت بنفس السرعة التي تترك بها المدفع ، فلن يزيد الوقت على تسع ساعات .. ولكن الأمر ليس بهذه السهولة ، فستنطلق القذيفة بتباطؤ ، حتى تقترب من القمر فتزداد سرعتها بفعل جاذبيته حتى تهبط فوقه .. وأظن أن الوقت لن يزيد على ٧٩ ساعة وربع الساعة .. »

وشرع الدكتور بيلفاست يحسب المسافة على ورقة ، بينما ارتفع الضجيج ، إذ أخذ الأعضاء يتكلمون بعضهم الى بعض .. وأخيراً ، نهض ويقول قائلاً لباريكان :

— لنفترض أن طول مدفعك ٩٠٠ قدم ، وأنه ثابت في مكانه ، ولا ضرورة لتحريكه .. وانك صوبته نحو نقطة في السماء ، يبلغها القمر بعد ٧٩ ساعة وربع الساعة ، فهل فكر مستر باريكان فيما يحدث لقضيب طويل مستقيم ، أمسك به من نهايته ومن وسطه ؟ .. مهما يكن القضيب متينا فلن يبقى مستقيماً ، لأن قوة جاذبية الأرض ستجذب الطرف الآخر .. وهذا ما سيحدث للمدفع ، إذ أنه سيتقوس .. ولو زدته متانة ، فسيزداد ثقلاً ، وبالتالي ستكون درجة انحنائه أكبر .. فكيف يصيب مستر باريكان القمر بقذيفة من مدفع منثن ؟

ودوت ضحكات من بعض الحاضرين ، بينما غضب آخرون .. وأخيراً ، عاد الصمت ليسمع الجميع صوت دكتور بيلفاست ، وهو يقول « إذا انثن المدفع بوصلة



« باربيكان » رئيس نادي السلاح

واحدة ، في مسافة قدرها ٢٢١٤٦٣ ميلا ، فان القذيفة
تنحرف عدة أميال عن المكان المحدد لسقوطها . . . »
وعقب الكابتن نيقول قائلا : « وهكذا تضيع ألوف وألوف
من الدولارات ! »

ورد باريكان : « ولماذا يفترض مستر نيقول أن المدفع
سيستند على طرف واحد وعلى وسطه ، مثل مدافع الجيش
والسفن ؟ . . سأضع المدفع في ثغرة في الأرض ، فترتكز
قوته عليها ، ويظل مستقيما . . . »

وارتفع الهرج ، ولكن العالم « ماستون » نهض قائلا :
« لقد طرح علينا مستر باريكان مسألة تدفعنا للعودة الى
كتبنا وأوراقنا ، بأمل جديد . . وأنا أعرف صديقي باريكان
جيذا ، واعتقد أن خطته ممكنة ، ولكن الأمر يحتاج الى مال
كثير ، وبوسع الدين ربحوا أموالا طائلة ، من تجارة الأسلحة
في الحرب ، أن يمدونا بالذهب لصناعة مدفع لن يؤذى
انسانا ، فليس هناك انسان واحد في القمر . . . »

قال الدكتور بيلفاست : « لا أجزم بهذا . . واذا بلغت
قديفتنا القمر ، أمكننا معرفة الكثير عن جارنا . . فهل استقر
الرأى على تنفيذ المشروع ؟ »

ورددت القاعة هتافات التأييد ، الا ان كابتن نيقول
ظل صامتا . . وكذلك الدكتور بيلفاست ، الذي قال وهو
يفادر القاعة : « لست أفهم كيف يمكننا أن نعرف شيئا عن
القمر ، ما لم يذهب اليه انسان داخل كبسولة ! »

الكبسولة

بعد المناقشات التي احتدمت بين الأعضاء ، رأى
« باريكان » ضرورة استشارة الفلكيين ، قبل أن يعكف على
الوسائل الميكانيكية . . فأعد مذكرة وافية حول مشروعه ،

ضمنها أسئلة دقيقة ، وأرسلها إلى مرصد (كيمبريدج) ،
بولاية (ماساشوسيت) التي أنشئت فيها أول جامعة
للولايات المتحدة الأمريكية ، والتي اشتهرت - فيما بعد -
بمرصدها الكبير الذي يضم مجموعة عظيمة من علماء الفلك .
وبعد يومين ، تلقى ردا جاء فيه أن أعضاء المرصد ناقشوا
أسئلته ، ووصلوا إلى :

« السؤال الأول : هل يمكن إرسال مركبة فضائية إلى

القمر ؟

« الجواب : نعم . . إذا أمكن تزويدها بسرعة ابتدائية

تعادل ١٢ ألف ياردة في الثانية . فقد أثبتت الحسابات
الرياضية الدقيقة ، أن هذه السرعة كافية لوصول المركبة
إلى القمر . وكلما ابتعدنا عن الأرض ، قلت حركة الجاذبية
بتناسب عكسي . . إلى أن تتلاشى قوة الدفع نهائيا في اللحظة
التي تكون فيها جاذبية القمر متعادلة مع جاذبية الأرض .
وفي هذه اللحظة لا يكون للمركبة أي ثقل ، أي أن وزنها ينعدم
تماما . . وإذا تجاوزت المركبة هذه النقطة ، فإنها تهبط على
القمر بفعل جاذبيته . وعليه فإن تحقق الفكرة يتوقف على
قدرة وقوة الجهاز أو الصاروخ أو المحرك المستعمل لهذا
الغرض . .

« السؤال الثاني : ما هي المسافة الحقيقية بين الأرض

والقمر ؟

« الجواب : لا يدور القمر في دائرة كاملة حول الأرض ، بل

أنه يدور في مدار بيضاوي ، يبعد عن الأرض في أقص نقاطه
بمسافة . . ٢٤٧٥٠٠ ميل ، وفي أدناها بمسافة ٢١٨٠٦٥٧
ميلا .

« السؤال الثالث : ما المدة التي تقطعها المركبة الفضائية المزودة بسرعة ابتدائية مناسبة ، وما الوقت المناسب لاطلاقها كي تهبط على القمر في نقطة معينة ؟

« الجواب : اذا استطاعت المركبة الاحتفاظ بسرعة قدرها ١٢ ألف ياردة في الثانية ، فلن تستغرق الرحلة أكثر من تسع ساعات تقريبا . ولكن ، بما أن هذه السرعة ستكون تنازلية ، فان المركبة تصل الى نقطة تعادل الجاذبية الأرضية والجاذبية القمرية بعد أربع وعشرين ساعة وعشرين دقيقة . ثم تهبط من هذه النقطة الى القمر في مدى خمسين ألف ثانية ، أي بعد ثلاث عشرة ساعة وثلاث وخمسين دقيقة وعشرين ثانية .

« السؤال الرابع : في أي لحظة يكون القمر في الوضع المناسب ، والأفضل لهبوط المركبة عليه ؟

« الجواب : يجب أولا اختيار الوقت الذي يكون فيه القمر قريبا من الأرض ، حتى تقل المسافة التي تقطعها المركبة . . وفي الوقت ذاته ، يجب أن يكون القمر مارا بنقطة السميت ، فتقل المسافة التي يجب أن تقطعها بما يعادل نصف قطر الكرة الأرضية أي ٣٩١٩ ميلا - فتصبح ٢١٤٩٧٦ ميلا فقط . . وعليه يجب أن ننتظر مرور القمر بنقطة السميت ، وكذلك اقترابه من الأرض . ولحسن الحظ أن هذا سيتحقق في ٤ ديسمبر من العام القادم .

« السؤال الخامس : الى أية نقطة من السماء يجب أن

نصوب فوهة المدفع لاطلاق المركبة الفضائية ؟
« الجواب : يجب اطلاق المركبة نحو نقطة السميت ، في اتجاه رأسى بالنسبة للأفق ، وبسرعة تمكنها من مقاومة الجاذبية الأرضية .

« السؤال السادس : في اى مكان يكون القمر عند اطلاق المركبة الفضائية ؟

« الجواب : سيكون بعيدا عن نقطة السميت بنحو ٥٢ درجة و ٤٢ دقيقة و ٢٠ ثانية . . »

أسند « نادى السلاح » المشروع الى اربعة رجال : الرئيس باربيكان ، و « ج.ت. ماستون » . ثم الجنرال مورجان ، والصاغ الفينستون لمباشرة المسائل المالية والادارية .

وتبين أن الكبسولة يجب ألا تزيد في الوزن على ٢٠ الف رطل ، فاذا زادت وجب أن يفرغ جوفها بدرجة مناسبة . . وقال ماستون : « لا بد أن يكون سمك الكبسولة بوصتين فقط » . فقال الجنرال مورجان : « ليس هذا كافيا . . لأنها لن تكون متينة بالدرجة المطلوبة . »

قال باربيكان : « يجب أن تصنع من مادة أخف من الصلب . . من الألومنيوم » .

فضحك ماستون ، وقال : « أعرف ما يدور بخلد صديقنا باربيكان . . انه يفكر في المعدن المعروف باسم (ر . ر . ر) اليس كذلك ؟ »

— هذا صحيح ، فهو المعدن الأمثل . . انه ألومنيوم مخلوط بستة معادن أخرى ، بنسب ضئيلة جدا ولكنها تكسبه صلابة وامتانة . . وقطعة من (ر . ر . ر) أقوى ثلاث مرات من قطعة من الصلب بنفس الوزن . وقد وجدت أن وزن الكبسولة — بالشكل والحجم المطلوبين — لن يتجاوز ١٩٢٥٠ رطلا .

قال ماستون : « وما نفقات صناعة هذه الكبسولة ؟ »
— لنترك ذلك لأصدقائنا العسكريين ، وقد وعد اغنياء العالم بمعاونتنا .

والحق أن المشروع أثار اهتمام العالم ، وقال بعض كبار العلماء أنه ضرب من المستحيل ، وقال بعض آخر أنه امتحان لقدرة العلم . . وصارت كبسولة القمر موضوع حديث كل إنسان ، حتى أولئك الذين لم يكونوا يعرفون شيئاً عن العلم أو القمر .

أين يوضع المدفع ؟

حار العلماء والخبراء ازاء المكان المناسب لوضع المدفع الذي تطلق منه المركبة الفضائية . . وفي قاعة «نادى السلاح» اجتمعوا أمام خريطة كبيرة لتدارس الأمر . . وأرهف الجميع أسماعهم عندما اعتلى الرئيس باريكان المنصة ، وعرض المشكلة :

« . . أين يقام مدفعنا الضخم ؟ . . في أى مكان من قارتنا يوضع حتى تندفع ، الطلقة أو المركبة في اتجاه القمر دون أى انحراف أو خطأ ؟ . . لقد أوضحت على هذه الخريطة الأماكن التي يمكن وضع المدفع فيها ، وسترون أن أنسب الأماكن تقع في جنوب الولايات المتحدة ، أو الجزء الشمالي من أمريكا الجنوبية ، أو شمال أفريقيا ، أو في أرجاء من الهند أو الصين . . ولعلنا نتفق - بعد المشاورة - على أن يكون مدفعنا بالولايات المتحدة . . وأصلح مكان هو تكساس ، أو فلورنيدا . . »

وهنا قاطعه الكابتن نيقول : « لا شك أن مدفعك سينفجر بقوة رهيبية فيقتل عددا كبيرا من الناس الذين يعيشون في دائرة قطرها عدة أميال حوله . . فليوضع بعيدا عن المدن ! » قال باريكان : « لأول مرة يا سادة ، أتفق مع الكابتن نيقول على رأى . . »

ونهض الدكتور بيلفاست، فواجه الأعضاء قائلا: « لا ينبغي أن نفكر في الموقع فقط، بل لنفكر فيما تحته أيضا. لقد اقترح المستر باريكان حفر مكان للمدفع على عمق تسعمائة قدم، فأين تكون هذه الحفرة؟ .. إذا حفرها في أرض ناعمة فلن يجدى هذا مدفعه شيئا .. وإذا حفرها في أرض رخوة فستفمرها المياه .. وإذا حفرها في أرض صلدة، فلن يتعمق لسافة بعيدة .. وقد عكفت على فحص خريطة أراضى فلوريدا وتكساس، فاكتشفت مكانا يطلق عليه (جبل الحديد)، بالقرب من مدينة (تامبا) بفلوريدا .. »

قال الجنرال مورجان: « يجب اختيار منطقة خالية نشر عليها أكواخ عمالنا ورجالنا، وأن تكون قريبين من مدينة نحصل منها على المؤن والذخيرة .. وأن نكون - في الوقت ذاته - على بعد مناسب من العمران، حتى لا نهدد حياة الناس »

فقال الصاغ الفينستون: « ان الجبل يقع على مسافة الى الشمال من مدينة (تامبا)، ويرتفع الى ٣٥٠ قدما، ويتوسط خلاء، وسيكون .. »

وقاطعه الكاتب نيقول كعادته: « ما أطرف أن يحفر صديقنا باريكان حفرة عمقها ٩٠٠ قدم، في كتلة من الحديد ... »

فضحك الدكتور بيلفاست قائلا: « ليس بجبل فلوريدا حديد على الإطلاق، فهو يتكون من مادة كتلك التي تستخدمها الرئيس باريكان في الكتابة على السبورة .. أحجار جيرية .. »

وضج الأعضاء بالضحك، فامتقع وجه الكاتب نيقول وجلس محنقا .. وأقر الجميع إقامة المدفع فوق جبل الحديد، بالقرب من مدينة (تامبا) . ثم قال باريكان:

— فهمت من أصدقائنا بجامعة شيكاغو أن تليسكوب مرصدهم لن يستطيع متابعة المركبة الفضائية ، في رحلتها الى القمر . . لذلك فانهم سيصنعون « تليسكوب » أكبر ، وقد قرروا أن يتكفلوا بنفقات صناعته . . فلتنشط للعمل بحماس وعزم وصدق وإيمان ، ولنحقق للبشرية جمعاء حلما من الأحلام . . ولنثبت للعالم كله أن آفاق العلم لا حدود لها ، وأن العالم لا يعترف بالمستحيل ، بل يحطم السُّدود ويتخطى العقبات . . .

صناعة المدفع العظيم

في الخامس والعشرين من أكتوبر ، وصل باريكان وماستون ومورجان والفينستون الى جبل الحديد ، وأشرفوا من ربوة عالية على الوادى الأخضر والسهول المنبسطة ، ثم تطلعوا الى السماء . . وما لبث أن لحق بهم رجلان ، كان أحدهما — ويدعى هاريسون — يحمل خريطة كبيرة . أما الآخر فكان يدعى « مارشيسون » وهو الذى عهد اليه بانجاز المشروع . وعلى هدى الخريطة حددوا بدقة المكان الذى تطلق منه المركبة ، ومواقع أكواخ العلماء والعمال ، والأفران الضخمة لصهر المعادن وتكوين سبائك متينة تحتل رحلة الفضاء والهبوط على القمر ، ولصنع جسم المدفع الجبار .

وان هى الا ايام حتى اخذ العمال يتقاطرون على الجبل ، وبدأت الأكواخ تظهر تباعا ، وأنشئ خط حديدى بين المرفأ — فى مدينة (تامبا) — وجبل الحديد . وقرر المشرف على المشروع أن تبدأ أعمال الحفر فى العاشر من نوفمبر . وفى ذلك اليوم ، ألقى باريكان كلمة فى العمال والمهندسين والعلماء قال فيها ان العمل يتطلب حفر حفرة عمقها ٩٠٠ متر ، تتوسطها دوائر من الصخور مثبتة بأسياخ من الفولاذ ، ويقام



القذيفة التي تحمل كبسولة الفضاء ، منطلقة نحو القمر
(كما تخيلها « جول فيرن » منذ ١٠٠ سنة !)

أمامها سياج من مواد عازلة للحرارة ، ثم تصب في الحفرة معادن منصهرة لبناء مدفع ضخيم لإطلاق سفينة الفضاء .

وتوالى العمل ليل نهار ، بدون انقطاع . وبرغم كل المصاعب والعقبات ، استمرت الجهود بعزيمة لا تعرف الكلل ، حتى اكتملت الحفرة في العاشر من شهر مايو . ثم أعدت الدائرة لصب المعادن التي تؤلف فتحة تدخلها الطاقة أو المركبة الفضائية . وفي هذه الأثناء ، كانت هناك أعمال أخرى متممة لصناعة المدفع الفريد في نوعه وحجمه .

وفي أوائل شهر يوليو كان كل شيء قد أُعد ، وتقدر أن تصب المعادن المنصهرة في الحفرة في اليوم الثامن من الشهر . فلما حانت الساعة الثانية عشرة من ذلك اليوم ، فتحت أبواب مائة فرن في لحظة واحدة ، فاندفعت السوائل المتوهجة إلى الحفرة ، لتملأ فراغ الدائرة التي أعدت لاستقبالها . وتصاعدت الأبخرة كثيفة لبضعة أيام . . وفي منتصف أغسطس ، كانت الحرارة قد هدأت ، واستطاع العمال استئناف عملهم ، فأمكن تحديد مكان المدفع . . وفي سلة كبيرة ، هبط باريكان والخبراء إلى جوف الحفرة . وكانت الحرارة شديدة . ومن الداخل ، استطاعوا أن يروا خلال الدائرة ، رقعة صغيرة من السماء ، هي التي كان منتظرا أن يمر بها القمر بعد ساعات من إطلاق الكبسولة إلى الفضاء .

أول رجل فضاء

كان الرئيس باريكان يتناول غداءه - في غرفته بمدينة (تامبا) مع الدكتور بيلفاست ، في اليوم الحادي عشر من سبتمبر ، حين تلقى برفيقة قراها ، ثم أعاد قراءتها وضحك . . وتطلع إليه الدكتور بيلفاست ، فقرأ عليه ما جاء بالبرقية :

((باريس ، فرنسا - ٢ سبتمبر : اصنعوا المركبة طبقا للخطة التي وضعتها بنفسى ، وسأستقلها فى الرحلة المرتقبة الى القمر . اصل على الباخرة اطلانطا - ميشيل آردان))

وأردف باريكان : « انه مجنون بلا شك . . كيف يتسنى ذلك ؟ . . سيموت ان حاول ! »

قال الدكتور بيلفاست : « ما من مستحيل ! . . من الممكن ان تصنع الكبسولة بحيث يتوسطها صندوق لا يتأثر بانفجار المدفع . . هناك طريقتان تقومان على تزويد الصندوق بزبركات تمتص الصدمات والارتجاجات أثناء الانطلاق من المدفع ! »

واستعلم باريكان تليفونيا ، فعلم ان الباخرة تصل فى اليوم الرابع عشر . . وقال بيلفاست :

- أرى ان تأمر بارجاء صنع الكبسولة حتى يصل رجل الفضاء المتطوع لزيارة القمر . . فلا بد ان لديه تفصيلات ، وأنه اعد للأمر عدته !

بعد أيام ثلاثة ، كان ماستون وباريكان فى الميناء ، ينتظران وصول الباخرة اطلانطا . . لم يكن أحدهما يعرف « آردان » ، ولكن باريكان اتصل بأصدقائه الفرنسيين فى نيويورك ، للسؤال عنه ، فكان جوابهم ان كل فرنسى يعرف « آردان » المخاطر الجريء . .

قال ماستون : « اتظن انه لا يعلم مدى الخطر الذى ينتظره ؟ . . ان الموت فى انتظاره . »

فقال باريكان : ((اعتقد ان العلماء الفرنسيين أوفنوه ، وحرصوا على ان يعيش ، فهم يودون معرفة ما اذا كان فى الامكان اطلاق انسان بمذفع فيظل حيا لا يموت))
ووجدا « آردان » - عندما وصلت السفينة - شابا فى الثلاثين ، صغير الجسم ، صلبا قويا ، ذا شعر أحمر غزير ،

ووجه عريض وعينين واسعتين .. كأنه قط كبير .
وسرعان ما جلس ثلاثتهم - وقد انضم اليهم الدكتور
يلفاست - حول مائدة نشر عليها « أردان » أوراقه
وتصميماته .. وقال أردان بعد نقاش :

- الفكرة ببساطة هي أن الكبسولة تتكون من جزئين ،
الأسفل منهما غير ملتصق تماما بالركبة ، ليسقط عنها عند
إطلاقها ، وهذا قد يبدد بعض قوة الانفجار ، ولكن الكبسولة
أخف من تلك التي صممها نادي السلاح ، وسيكون في طول
المدفع وكمية الانفجار ما يكفي .

وراح الدكتور يلفاست ينعم النظر في الخطة ، ثم قال :
« هناك أمر واحد لا أفهمه .. كيف ستعود المركبة إلى
الأرض ثانية ؟ »

وأضاف ماستون : « وأنا الآخر لا أفهم عدة أمور ..
قد لا يقتلك الانفجار ، ولكنك ستموت حتما إذا سقطت
كبسولتك على القمر في نهاية الرحلة الشاقة » .

وهنا قال أردان : « لقد أعددنا لكل شيء عدته ، فأسفل
الكبسولة أثقل من أعلاها ، وعندما تدخل في نطاق الجاذبية
الأرضية ، يكون جزؤها الأسفل في اتجاه الأرض ، وحين
تكون في جاذبية القمر ، يصبح الجزء الثقيل في اتجاه
القمر » .

- وما الذي سيحد من سرعتها عند هبوطها فوق القمر
فلا تتحطم ؟

قال أردان : « في قاع الكبسولة عدة صواريخ تشعل
عند اقتراب الكبسولة من سطح القمر ، فتمكنها من الهبوط
ببطء وهبوط » .

وهنا تساءل باريكان : « وما هذه المربعات التي بداخل
الكبسولة ؟ »

— بعضها يستخلص الهواء من الغازات المستهلكة ،
والآخر يضيف للهواء أوكسجين جديدا ، وستحمل الكبسولة
خزانات بها أوكسجين يستخدم عند الحاجة .

واستطرد آردان يشرح تصميمه : « وفي داخل الصندوق
الموجود بالكبسولة باب يتصل بأنبوبة تمتد الى الفسلاف
الخارجي ، حيث يوجد باب آخر يفتح بتحريك ذراع في
الصندوق الداخلى ، وبذلك تتسنى الرؤية خلال هذه النافذة
المزدوجة ، كما يمكن اغلاق النافذة الداخلية وفتح الخارجية
.. وهناك أربع نوافذ مزدوجة بهذا النمط ، في كل جانب
للمركبة واحدة .. »

وتساءل الدكتور بيلفاست عن طريقة العودة للأرض ،
فقال الفرنسي : « اذا ما هبطت كبسولتنا الأولى الى القمر ،
فبوسعنا اطلاق كبسولة أخرى تحمل صاروخا يعود براكب
الأولى الى الأرض . وبما أن جاذبية القمر صغيرة ، فستكفى
قوة بسيطة لدفع المركبة من القمر الى جاذبية الأرض .. »

قال الدكتور بيلفاست : « اننا نعلم أن القمر خال من
الهواء ، ولا بد أن تصطبج كمامة تملك بالهواء عندما تغادر
الكبسولة » .

وفي الخامس والعشرين من سبتمبر ، اجتمع اعضاء
« نادى السلاح » مرة أخرى ، فأطلعهم باربيكان على تطورات
المشروع ، ورسم الكبسولة على احدى سبورتين وضعتا خلف
المنصة ، وشرح كل صغيرة وكبيرة فيها .. وعندما حاول
الكابتن نيقول أن يثير المخاوف ازاء عودة راكب الكبسولة ،
قال باربيكان : « هل تحبون أن يقال ان الأمريكين يخافون
على أموالهم ، في حين أن الفرنسي لا يخاف على حياته ؟ »

وتعالت الأصوات تطالب بالمضى في المشروع . . فتساءل
 يقول : « وحياتك أنت، أيها الرئيس ؟ » فانتظر باريكان حتى
 هدأت الأصوات تماما ، ثم قال بوضوح وجلاء :
 - اننى ذاهب معه !

قال نيقول : « ذاهب لانك توقن من أن الكبسولة لن
 تغادر فوهة المدفع » .

وهنا قال آردان : « اذا كنت متأكدا من هذا ، فلماذا
 لا تاتى معنا ؟ »

وارتفعت ضحكات القوم ، بينما قال نيقول : « لان أحدا
 لم يوجه لى الدعوة » .

وانتظر باريكان حتى هدأ الضحك وقال : « يسعدنا
 أن تشرقنا بالسفر معنا للقمر » .

وعكف الدكتور بيلفاست - بعد ذلك - على اجراءات
 صناعة الكبسولة . . وآثر - فى بادىء الأمر - أعداد نموذج
 مصغر ، وضع فيه كلبا ، وأطلقه من فوهة أضخم مدفع لدى
 الجيش الأمريكى ، فهبطت الكبسولة المصغرة فى المنطقة
 الرملية الواقعة فى شمال (تامبا) ، وأخرج منها الكلب
 سليما . . وهز نجاح التجربة البلاد بأسرها .

وصنعت الكبسولة فى مصانع الحديد والصلب بمدينة
 (بيتسبرج) ، ثم نقلت على عربة سكك حديدية صنعت
 خصيصا لها ، وخرجت جحافل الناس ليشاهدوها أثناء
 رحلتها الى موقع الاطلاق . . وفى تلك الأثناء ، كانت القذيفة
 التى أعدت لتحملها عبر الفضاء - أى الصاروخ (آتومينت)
 - فى الطريق الى (تامبا) بحرا ، ثم الى جبل الحديد ، حيث
 كان بانتظارها - عند أسفل المدفع - عدد كبير من الرجال ،
 لتركيبها ومد الأسلاك الكهربائية اللازمة . . حتى اذا وصلت
 الكبسولة ، وضعت بجوار المدفع الهائل .

في داخل الكبسولة

كانت مدينة (تامبا) تعج بالناس والحركة ، في صباح اليوم الأول من ديسمبر ، الذي حدد لاطلاق الكبسولة الى القمر . . وكان أعضاء « نادي السلاح » قد خفوا الى الموقع . وحدثت الساعة العاشرة والدقيقة السادسة والأربعون من مساء ذلك اليوم موعدا للاطلاق . .

وفي داخل حلقة حول الموقع ، جلس ماستون وباربيكان وآردان وكابتن نيقول . . وكان الرئيس صامتا ، يقرأ في كتاب ، والى جواره كلبه المدلل ، الذي تقرر أن يذهب معهم . . وبعد أن وضعت حول الكبسولة درجات خشبية ، ظهر مارشيسون وقال : « أمستعدون أنتم يا سادة ؟ »

: وفي صمت ، نهض باربيكان فتأبط كتابه وسار ، وتبعه كلبه ، ثم آردان والكابتن نيقول . وتقدم الفرنسي فتسلق لدرجات الى قمة الكبسولة ، ثم أوما لرفاقه ، فتبعه نيقول ، ثم باربيكان وكلبه . وما لبثوا أن غابوا داخل الكبسولة . . وأغلق بابها .

ورفعت الكبسولة في الهواء - بوصة فيبوصة - وفي داخلها رجال الفضاء ، لتدلى بحبال من الفولاذ الى فوهة المدفع . . حتى اذا هبطت عليها ، أخذت تنزلق في (ماسورته) الطويلة تدريجيا ، حتى بلغت القاع . . وأصبح كل شيء على أهبة الاستعداد .

واستقل جميع من كانوا في الموقع قطارا أقلهم الى (تامبا) ، بعيدا عن المنطقة الخطرة . ولم يبق غير «ماستون» الذي تريت برهة ، حتى اذا اطمأن الى خلو المكان من الناس ، استقل سيارة خاصة الى مسافة نصف الميل من الموقع ، حيث أعدت حفرة كبيرة ، أقيم فيها كوخ حديدي ، غطى

سقفه بطبقة سميكة من الرمال الناعمة ، كما أقيم جدار سميك بين موقعي الكوخ والمدفع . . وعلى منضدة داخل الكوخ ، كان ثمة صندوق صغير يتصل كهربائيا بذخيرة المدفع ، وساعة صغيرة دقيقة أشار عقرباها الى الدقيقة الحادية والثلاثين بعد العاشرة مساء . .

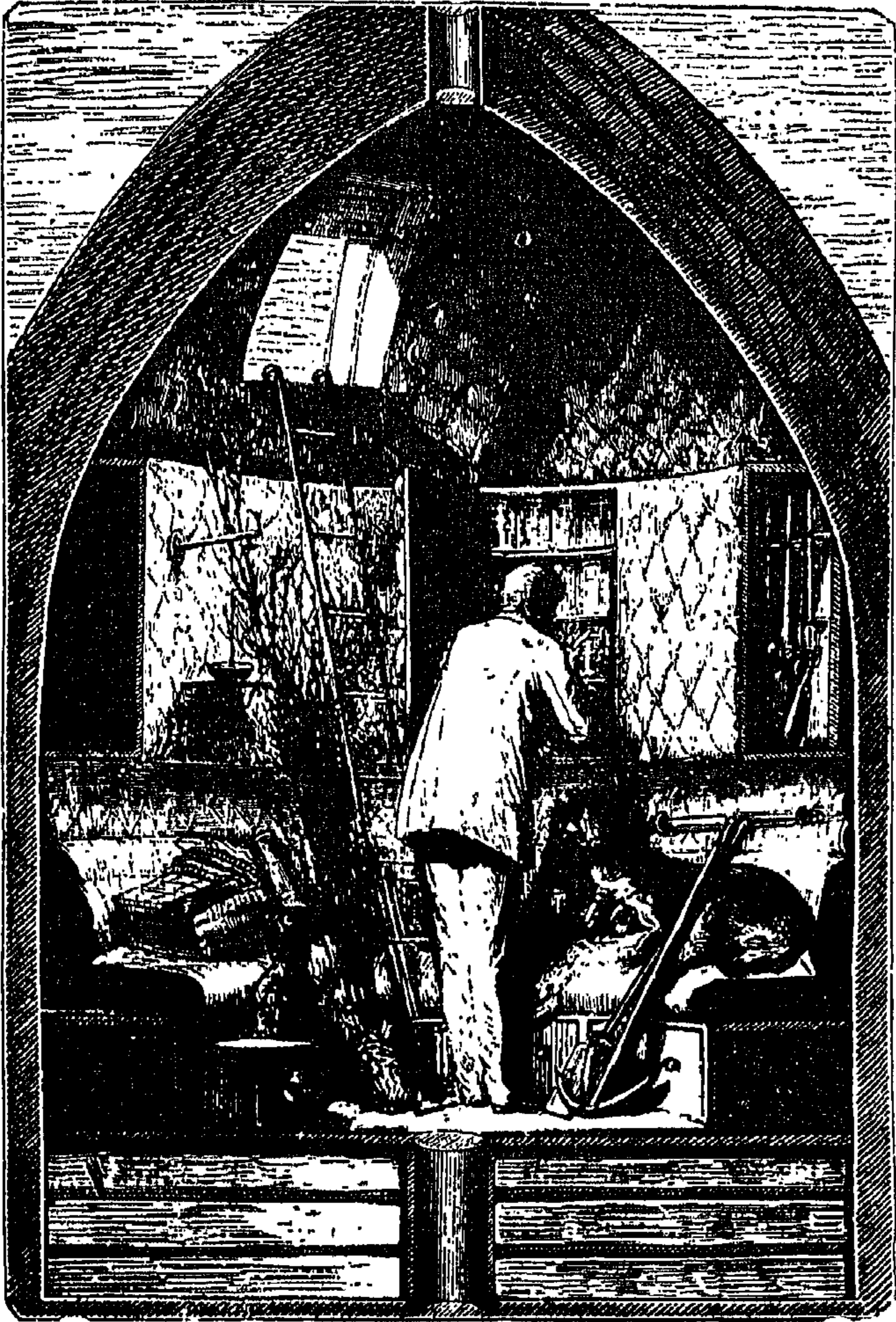
وكان على « ماستون » - بعد ربع الساعة تماما - ان يضغط كرة حمراء تتدلى من الصندوق، فيسرى تيار كهربائي في كتلة المتفجرات بالمدفع . . فاما ان يموت أعز أصدقائه - في اول محاولة جريئة في تاريخ العالم - واما تنطلق الكبسولة في رحلتها الميمونة الى القمر .

وأشار عقربا الساعة الى العاشرة والدقيقة الأربعين . . ونهض « ماستون » فسار الى باب الكوخ ، ثم عاد الى مجلسه . . وأشار العقربان الى الدقيقة الرابعة والأربعين بعد العاشرة . . اذا لم يضغط الكرة الحمراء ، فلا بد ان تمر ثمانى عشرة سنة قبل أن يقترب القمر من الأرض بالدرجة التي كان مرتقبا أن يقتربها الليلة . . وحانت الدقيقة الخامسة والأربعون . . ووضع « ماستون » يده على الكرة الحمراء . .

الدقيقة السادسة والأربعون بعد العاشرة تماما . .

وفتح « ماستون » عينيه ، فاذا به طريح على ظهره ، وثمة دم يسيل على وجهه . . واذا الساعة الدقيقة قد سقطت بجواره وتحطمت . . وفطن الى أنه قد أطلق المدفع . . وخرج « ماستون » من الكوخ ، فلم ير سوى سحابة سميكة قد خيمت على العالم من حوله . . وعاد الى الكوخ ، فسقط على أرضه مفشيا عليه !

اهتزت مدينة (تامبا) بأسرها على أثر الانفجار العظيم ، وانهارت الجبدران ، وطارت سقوف البيوت ، وتحطمت النوافذ . . وعندما انقشعت سحابة الدخان ، اضطرب الجو



كبسولة الفضاء من الداخل ،
كما تخيلها « جول فيرن » !

فاذا الأمطار تهطل بغزارة لعدة أيام متواصلة ، على الساحل الشرقى لأمريكا . . وحالت الفيضانات دون أن يكشف « تليسكوب » جامعة شيكاغو عن شيء ما . . وأخذ الناس - في العالم كله - يترقبون في قلق ولهفة أنباء الكبسولة وما جرى لها . .

وفي ٦ ديسمبر ، أصدر المرصد بياناً رد على تساؤل الناس وتكهناتهم :

« . . ان الكبسولة لم تصل الى القمر ، وانما مرت بجانبه ، وهي الآن على بعد ٢٨٣٣ ميلاً منه ، وستظل معلقة في الفضاء الى أن يحدث احد امرين :

« ١ - قد يجتذب القمر الكبسولة اليه ، بعد فترة من الزمن ، فتسقط على سطحه .

« ٢ - أو قد تظل تدور حول القمر الى الأبد . . ! »
وكان في الكبسولة « أوكسيجين » يكفي لشهر كامل ، وطعام وماء لمدة أطول . . ولازم « ماستون » و « بيلفاست » مرصد (ماونت لوك) ، يتابعان - خلال التليسكوب - الكبسولة وبداخلها أصدقاؤهما الثلاثة الذين تطوعوا لأول مغامرة من نوعها في تاريخ البشرية . . يحتمل ألا يعودوا منها .

فماذا جرى في داخل الكبسولة ؟

لم تكد الكبسولة تستقر في داخل « ماسورة » المدفع ، حتى أخذ ركابها يتأملون مقرهم الجديد . . كانت الغرفة الصغيرة المستديرة - في جوف الكبسولة - ذات جدران مبطنة بمادة طرية ، حتى لا يصاب الرواد بأذى اذا ارتطموا بها . . وقد توسطتها مائة وثلاثة مقاعد . . وتحت المقاعد المثبتة ، وضعت كميات من الطعام والشراب . وفي السقف ، ثبتت أجهزة تنقية الهواء ، وثلاثة مصابيح . .

وقال آردان : « انها سيارة لطيفة تقلنا عبر السماء ! »

فقهه باربيكان قائلاً : « بل سجن متحرك جميل ! » . .
وعقب يقول : « أو مقبرة متنقلة ! » . . وانصرف باربيكان
إلى قراءة كتابه ، بينما أخذ أردان يسجل مذكراته . .
وما لبث الرئيس أن قال : « لم يبق غير عشر دقائق ، فلنستلق
على الأرض ، لأنها أسلم مكان لنا ! » . . وبعد خمس دقائق ،
قال : « سأطفئ المصابيح ! »

— بقيت دقيقة . . نصف دقيقة . . لم يبق . .
ثم حدث شيء رهيب !

بعد إطلاق المدفع

كان « ميشيل أردان » أول من فتح عينيه ، فرأى زميليه
مستلقين على الأرض ، وكان الحياة فارقتهما . . وكان يقول
منكفئاً فوق باربيكان ، الذي بدا في حال سيئة ، فأسرع يرفعه
عنه . . وأفاق يقول من غشيبته ، وبدأ يفطن إلى الواقع ،
فأهاب به أردان أن يساعده على اسعاف باربيكان ، الذي كان
الدم يغمر وجهه من جرح في عينه اليسرى . . وكان يقول
يبدى ارتياباً في أن المركبة قد انطلقت بهم ، وأردان يسخر
منه . .

واذ أفاق باربيكان ، تساءل : « هل نحن نتحرك ؟ » . .
ثم أردف : « أن المكان شديد الحر . . أرى أن درجة الحرارة
بلغت التاسعة والسبعين فارنهايت . . لا بد أننا نتحرك ،
وهذه الحرارة ناشئة عن احتكاك الهواء بجسم الكبسولة ! »
وتحرك نحو إحدى النافذتين الجانبيتين ، ففتحتها وحرك
ذراع النافذة الخارجية . . و خلالها رأى الرجال الثلاثة ظلاماً
دامساً ، فقال يقول : « لا بد أننا في قاع البحر » . . ولكن
أردان صاح : « كلا . . انظر هناك . . النجوم تلمع في السماء »
. . وما لبث أن قال متسائلاً : « ولكن ، أين القمر ؟ » . . فقال

باربيكان: « لتبحث عنه في الجانب الآخر ! »

ووقف ثلاثتهم يتأملون السماء والقمر . . في أقل من ست وتسعين ساعة سيصلون إليه ! . . وفجأة هتف آردان : « ما هذا الجسم الكبير ؟ » . . وصرخ نيقول : « اسرع يا باربيكان ! » . .

أخذ الجسم يكبر ويبدأ ، مندفعاً نحوهم ، فامتقت وجوههم ، وظنوا أن نهايتهم قد اقتربت . . ولكنه ما لبث أن مرق بجوار الكبسولة ، دون أى سوء . . فقال باربيكان : « كان شهاباً . . جزءاً من نجم تفتت ، وقد راح يسبح في الفضاء ، ثم دخل في نطاق الجو المحيط بالأرض ، فأحدث احتكاكه بالهواء حرارة شديدة . . ان الشهب الصغيرة تحترق قبل أن تصل الى الأرض ، أما الكبيرة كهذا ، فلا تشدها جاذبية الأرض ، وتصبح قمراً ثانياً في فلكها . . ولكننا لا نراه من الأرض ، لأنه صغير جداً نسبياً ، وحركته سريعة جداً ، فضلاً عن أنه غير لامع . . » .

وأغلق باربيكان النافذتين الجانبيتين ، وفتح النافذة السفلى ، وإذا أبصارهم تقع على قوس فضي ، هو كل ما بدا من الكرة الأرضية ، التي غابت بقيتها في ظلام دامس ، إذ كانت الشمس في الجانب الآخر منها . . وقال آردان : « أخبرني يا باربيكان . . لماذا لم نسمع صوت المدفع عند الانطلاق ؟ »

— لأننا اندفعنا بسرعة تفوق سرعة الصوت . هيا نتناول أول فطور لنا خارج الكرة الأرضية . . ولعل الكلب سيبتهج بالطعام !

وفتح صندوقاً كان الكلب قد أودع به ، فوجده ساكناً وهتف قائلاً : « انه مريض . . أظنه يعاني سكرات الموت » .

ومرت الليلة الأولى بسلام .. وتقول « ليلة » مجازاً ،
فليس بالفضاء ليل ولا نهار .. وفي اليوم التالي ، تقاسم
الرجال أعمالاً لا بد من إنجازها ، فتفقد باريكان الكلب ،
ووجدته في حال يرثى لها ، ثم فحص أجهزة الأوكسيجين
فوجدتها في خير حال .. وتفقد أردان المون ، بينما جلس
ينقول يكتب مذكرات ملاًها برموز هندسية وجبرية ..

وانقضى يومهم الأول - بداخل الكبسولة - في هدوء تام
.. وبعد أن تناولوا غداءهم - في اليوم التالي - عاد نيقول
الى أرقامه ورموزه ، فلما سأله باريكان عنها ، قال : « اننى
أعيد حساب كل شيء ، لأقدر متى نصل الى القمر .. ولكنى
أرى ان كمية المتفجرات لن تحمل المركبة الى نطاق جاذبية
القمر .. ولم يبق أمامنا غير خمسين ساعة ، ثم نسقط ثانية
في اتجاه الأرض ! »

واخذ باريكان يراجع الحساب بدقة ، ثم قال لنيقول :
« انك عمات في البحار طويلاً ، وتستطيع قراءة خريطة النجوم
لتحديد موقع السفينة .. وستجد في هذا الصندوق كل
ما تحتاج اليه ، فادرس النجوم وحاول تحديد موقعنا من
الفضاء ! »

وتطوع أردان لمساعدته ، اذ عمل بحاراً لعدة سنوات
.. وعاد باريكان الى مراجعة الأوراق . وفجأة صاح
أردان : « هذا غير جائز ، أرني الأوراق ! .. هل حسبت -
ضمن وزن الكبسولة - ذلك الجزء الذى سقط عنها بعد
مقادرتها المدفع ؟ »

وهنا هتف نيقول : « انك على حق .. يا لقبائى ! اننى لم
انقبض وزن هذا الجزء من الوزن الكلى للكبسولة »
وفي رابع أيام الرحلة ، شغل الرواد الثلاثة بمناعشة
احتمالات وجود الهواء في بعض أجزاء القمر .. فلما كان

صباح اليوم الخامس - ٥ ديسمبر - فوجئوا بأن كلب باربيكان ودع الحياة .. وكان لابد من التخلص من جثته ، فاقترح آردان فتح النافذتين الداخلية والخارجية ، والقاء الجثة فى الفراغ ، ولكن « نيقول » أندر بأن البرد شديد خارج الكبسولة .. وقال باربيكان :

- ان الجو بارد خارج الكبسولة ، لعدم وجود هواء يمتص حرارة الشمس . ولكن الأخطر من هذا أن يتسرب الهواء الموجود فى الكبسولة اذا فتحنا النافذة ..

وانتهوا الى فتح النافذة الداخلية - فى أحد الجانبين - ووضع الكلب خلفها ، ثم اغلقها قبل فتح النافذة الخارجية بواسطة الذراع الموجودة داخل الكبسولة .. وبهذا تخلصوا من الجثة .

وفىما كانوا يتأهبون لتناول الفطور ، لاحظوا أن الأشياء أخذت تسبح فى جو المكان ..

وقال باربيكان اذ لاحظ دهشة زميله : « ليس فى الأمر قوة سحرية .. كل هذا راجع الى انعدام الوزن للأجسام .. ان وزنك على الأرض ١٥٠ رطلا يا آردان ، ومعنى هذا ان الأرض تجذبك اليها بقوة ١٥٠ رطلا .. والأرض أكبر من القمر ست مرات ، أى ان جاذبية القمر سدس جاذبيتها ، أى انك تستطيع أن تقفز الى مسافات عالية جدا فوق سطحه .. اننا نفقد وزننا تماما على هذه المسافة من الأرض ، حوالى ١٨٧٢١٠ أميال .. فهنا تتساوى جاذبيتنا الأرض والقمر ، ولهذا فالكبسولة لا تسقى نحو القمر فى هذه اللحظة بالذات .. »

وهتف آردان جزعا : « اذن فالى أين نتجه ؟ »
- لا أدرى .. قد تتجه الكبسولة نحو الأرض .. كان لزاما أن ينقلب وضعها ، لأن قاعها أثقل من أعلاها ، مما يمكن

جاذبية القمر من أن تكون أشد تأثيراً عليها من جاذبية الأرض . . . فلتر ان كانت قد انقلبت فعلاً ! . . . لنفتح النافذة السفلى . . . اذا كانت الكبسولة قد انقلبت فسنطل مباشرة على السهل المتوسط العظيم بالقمر . . .

واذ شرع باريكان يفتح النافذة ، صرخ آردان : « هناك شهاب قريب جداً . . . لونه أسود ! »

واختفى الشهاب ثم عاد . . . ومالبثوا أن تبينوا انه جثة الكلب ، فقال باريكان : « كان يجب أن نتوقع هذا . . . ان جثة الكلب تهبط بدورها على القمر . . . وفي الهواء تتباين سرعات هبوط الأجسام لأن احتكاك الهواء بها يخفف من سرعتها حسب أوزانها . . . أما اذا انعدم الهواء ، فكل الأجسام تسقط بسرعة واحدة . . . »

واتجه باريكان الى النافذة السفلى ، ثم قال : « ان قاع المركبة يتجه الآن نحو القمر ! » . . . وفتح النافذة ، فهتف آردان : « ان القمر الى يميننا ! »

قال باريكان مفكراً : « حقا . . . والكبسولة تدور الآن حوله ، ولكنها لم تنقلب كما توقعت . . . هذا أمر غريب ! » .

وظل هذا الأمر يشغل باله حتى مساء اليوم التالي . . . ففي منتصف ليل ٥ ديسمبر ، كان مقدرًا للقمر أن يكون في اقرب نقطة من مداره الى الأرض . . . وكان محددًا للكبسولة أن تهبط ، في منتصف السهل الأوسط العظيم ، اذ ان المدفع كان قد صوب نحو هذا الموقع . . .

وقال باريكان مهزوماً : ((لا شك ان علماء شيكاغو ارتكبوا خطأ جسيماً . . . كان لزاماً ان تنقلب الكبسولة - في هذا الوقت - رأساً على عقب ، وان تتجه مباشرة ، في خط مستقيم ، نحو منتصف السهل . . . واخشى ان تنحرف فتهوى على سفح جبل ، واذا ذاك تتهشم . . .))

وفي حوالي الساعة التاسعة ، ألقى باربيكان نظرة أخرى ،
خلال النافذة . . كانت أضواء فضية تكسو سطح القمر . .
وانقلبت الكبسولة فعلاً ، وشرعت تهبط نحو السطح . .
ولكن السهل الأوسط كان قد اختفى ، وبدت لهم منطقة
جبلية وعرة ، وقال نيقول : « يبدو أننا سنصطدم بهذه
الجبال » . . فقال باربيكان :

— الساعة الآن التاسعة وثلاث عشرة دقيقة . . ونحن
نتحرك ، والقمر يتحرك كذلك . . وربما تغير الموقع عندما
نبلغ منتصف الليل . . اننى موقن من أن المدفع صوب نحو
مركز السهل الأوسط ، وان الوقت والمكان تم حسابهما بدقة
متناهية . . ومع ذلك ، فما نحن متأخرون عدة ساعات عن
الموعد المحدد ، وهد نحن بعيدون عن مسارنا . . فلماذا ؟
وزان ضمت مطبق على الكبسولة وركابها . . ثم انصرف
باربيكان الى مذكراته وحساباته بينما افترض نيقول أنهم في
سفينة في البحر ، فأخذ يستخدم فنونه البحرية في محاولة
رسم مسار الكبسولة . . أما آردان ، فأخذ يعد العشاء .
وقال نيقول : « لا أستطيع تحديد السرعة التي نهبط بها
بدقة . . وأرى أن الكبسولة تسير في خط منحني ، ولكن
الوقت قصير . . »

. . وانتصف الليل ، ولم تهبط الكبسولة . . وفي الجو
الواجم الحزين الذي ساد ركبها ، قال باربيكان : « هناك
قوتان تتصارعان . . قوة اندفاع الكبسولة ، وما من هواء
هنا يخفف منها . . وقوة جاذبية القمر . . فاذا كانت الأخيرة
أكبر ، فان طريقنا منحني على شكل قوس يتجه الى القمر . .
أما اذا كانت الأولى أكبر ، فان القوس يكون مقعراً ، طرفاه
الى أعلى ، فتتم الكبسولة بالقمر دون أن تسقط عليه . .
وسنطلق في الفضاء حتى يجذبنا كوكب آخر ! »



« منذ الصباح ، تجمت جماهير غفيرة
في الميدان ، تنتظر اللحظة الحاسمة ! »

في شمال القمر

كان الطريق الذي سلكته الكبسولة يحملها نحو الجزء الشمالي من القمر . وراح نيقول يقيس بعدها عن سطحه في فترات مختلفة ، بمساعدة أردان ، بينما كان باربيكان يحدد المواقع التي يمرون فوقها . . ومرت الكبسولة فوق قمة جبل (كوبرنيكوس) ، والى جوارها ، رأى الرواد قمما أصفر ، وفجوات غريبة تغطي سطح القمر . . وفي الساعة الواحدة صباحا ، تبين نيقول أن البعد بين الكبسولة والقمر أصبح ٦٠٠ ميل فقط ، ثم انخفض في الساعة الثانية الى ٥٠٠ ، مما أكد أن الكبسولة تهبط . .

وفي الساعة الثالثة صباحا ، كانت الكبسولة قد اقتربت جدا من القمر . . فلما حانت الرابعة ، اذا بها تنتقل من الضوء الى الظلام فجأة . . وأصبحت تدور حول القمر ، في الجانب الذي لا تراه الأرض . . وبدأ أنها اقتربت جدا من السطح . ولكنها لم تسقط !

واستبد التعب بباربيكان ونيقول ، فقررا أن يخلدا الى سنة من الصوم . . على أنه لم ينقض طويل وقت حتى استيقظا على صرخة من « أردان » . . كان ثمة شهاب أخذ وهجه يزيد ويشتد ، ثم انفجر فجأة . . وعابى وهجه ، أتبع لهم أن يلقوا نظرة على ما لم يره انسان من قبل . . على الجانب المظلم من القمر . وقال أردان : « قد يصطدم بنا شهاب ونتمزق اربا ! » فقال باربيكان : « بل نتحول لغازات » وبعد يوم قضته الكبسولة في ظلام دامس ، تراءت لركابها أشعة الشمس . .

وقال نيقول : « معنى هذا أننا ندور حول جنوب القمر . . »

وحاول باربيكان أن يعلل عدم هبوط الكبسولة إلى سطح القمر . . وداخلته هواجس آثر أن يكتمها حتى لا يزيد من ذعر زميليه . وعكف على دراسة خريطة القمر ، وتحديد الأماكن التي كانوا يحلقون فوقها . . وما لبثوا أن تبينوا أنهم يتعدون عن القمر ، وأن الكبسولة تغير اتجاهها بانحراف جانبي . . واذ ذاك هتف باربيكان :

— الحمد لله ، هذا ما كنت أرجوه . . لقد حانت فرصتنا الوحيدة . . ان الكبسولة تنقلب أثناء حركتها حول القمر ، فإذا وصلت إلى جنوبيه فإنها تواصل الدوران وأحد جانبيها — وليس مقدمتها أو مؤخرتها — متجه نحو القمر . .

وأسرع باربيكان إلى النافذة العليا ، وراح يتأمل خلالها القمر والسماء . . كانت السماء قد بدت لهم — عندما دارت كبسولتهم خلف القمر — سوداء داكنة ، إذ أنها تبدو لنا — من الأرض — زرقاء ، لوجود الهواء المحمل بذرات الماء ، فإذا انكسر ضوء الشمس في الهواء بدا لنا اللون الأزرق . . ولكن انعدام الهواء حول القمر يؤدي إلى رؤية السماء سوداء قائمة . . وفي منتصف النهار في القمر — في ذلك اليوم بالذات — كانت الأرض تتوسط الشمس والقمر تماما ، وثلاثتها على خط مستقيم ، فحجب ظل الأرض الضوء عن القمر . . ولم تكن هناك ألوان واضحة — على القمر — عدا اللونين الأحمر والرمادي على بعض الصخور . . يضاف إلى هذا ، أن النهار والليل يتعاقبان على القمر بسرعة ، فليس هناك أظلام بطيء . . وكأنك تضغط زرا فيختفي الضوء في الحال . على أن جداول من الأضواء الذهبية والحمراء القانية كانت تسقط على القمر فتتحول إلى ظلال خضراء زاهية وزرقاء لامعة . . واستهوى هذا المنظر الرواد ، بينما قال باربيكان :

— انه كسوف الشمس على القمر ، تسببه الأرض . .

وعاد بعد برهة يقول :

– أغلب الظن أننا عائدون الى الأرض . . . تأملا هذا الرسم . . . اننا الآن ننطلق الى النقطة البعيدة عن القمر ، حيث تتساوى جاذبيتنا الأرض والقمر . وما لم يحدث ما ليس في الحسبان ، فإننا سنظل مشدودين نحو القمر ، وننور حوله . . . شيء واحد فقط يخرج الكبسولة من نطاق جاذبية القمر ، لترتد الى الأرض . . .

فقال آردان : « اذن فأنت تفكر في قوة الصواريخ المركبة في الكبسولة ! »

– أجل . . . كانت الغاية منها تسير الهبوط السهل على القمر . . . ولكن نقص الهواء والطعام يضطرنا للعودة الى الأرض . . . فهل نتفق على هذا ؟

– اذا استخدمنا هذه الصواريخ ، فلن يبقى لدينا ما يخفف سرعة اندفاعنا الرهيبية الى الأرض ، في العودة . . . ان ثلاثة أرباع الكرة الأرضية مغطاة بالماء ، ففرص هبوطنا في البحر بنسبة ثلاثة الى واحد . . .

وكانت الكبسولة تقترب الى نقطة التعادل بين جاذبتي الأرض والقمر . . . وعندما تساوت الجاذبتان ، انعدم وزن كل شيء في الكبسولة ، فأخذت الأشياء تسبح في داخلها . وكانت الساعة الواحدة قبل خمس دقائق ، فتأهب آردان ليضغط الذراع الذي ينقل الكهرباء الى الصواريخ ، فقال باربيكان : « انتظر . . . سأعد من واحد الى عشرة بترتيب عكسي ، فاذا وصلت الى الرقم واحد ، فاضغط الذراع » . . .

انهم عائدون !

في اليوم الحادي عشر من ديسمبر ، كانت الباخرة الأمريكية « سالم » تقيس عمق المياه – في المحيط الهادي – على مسافة مائتي ميل من الساحل . فلما أتمت عمليات

يومها ، اتجهت عائدة الى (سان فرانسيسكو) . . . ولم يكن من حديث للربان وبحارته - اذ جلسوا للعشاء - الا الكبسولة التي انطلقت نحو القمر ، وركابها الثلاثة . وقال الربان : « لقد مرت عشرة ايام ، فما الذي جرى لهم ؟ . . . الا تزال الكبسولة تدور حول القمر ؟ »

قال ضابط يدعى فينلد : « بل انهم سيعودون يا سيدى » .

- هراء . . . كيف يمكن ان يعودوا ؟

- بل انهم سيعودون الى الارض .

وفغادر مكانه لتفقد بعض واجباته ، فاما بلغ سطح السفينة ، تطلع الى القمر قائلا : « انهم عائدون ! »

وفي تلك اللحظة بالذات ، سمع ((فينلد)) صوتا غريبا . . . واخذ الضجيج يشتد ، حتى انه اجتنب الريان وضابطا آخر فاقبلا ليتبيننا جلية الامر . . . واذا جسم شديد التوهج يهبط من السماء ، ثم يهوى في البحر ، فيرتفع الماء الى مسافة كبيرة . . .

وهتف فيلد : « صح ما قلت لكم . . . لقد عاوا الى

الارض ! »

وطيرت الباخرة النبا الى وزارة البحرية ، في وشنطون . . . وقال الربان :

- ليس لدينا ما نستعين به على رفع هذا الجسم من

الماء ، فلننتظرا .

وسرعان ما انتشر النبا في العالم ، وراح الناس يتكهنون بحقيقة الجسم الذي سقط من السماء ، فبعضهم أكد انه شهاب ، بينما رجح آخرون انه الكبسولة . . . وكثرت الشائعات ، ولم يكن في العالم كله سوى رجلين يملكان ان يجزما بانه الكبسولة ، اذ انهما كانا يراقبانها من مرصدهما

– ليل نهار – بالتناوب .. وهما « ماستون ، والدكتور بيلفاست » .. وقد كان أولهما يتولى المتابعة في أصيل ذلك اليوم ، فرأى الكبسولة تدور حول الطرف الجنوبي للقمر ، ونادى زميله ليشهدها .. ولكن القمر كان قد دخل في منطقة كسوف الشمس ، فقال الدكتور بيلفاست : « لن نرى الكبسولة الليلة .. فاذهب لتنام ! »

وكان ماستون يغط في نومه ، عندما رن جرس التليفون في الساعة العاشرة ، وطلب المتكلم « ماستون » ، فأيقظه بيلفاست .. واستمع ماستون الى الحديث ، ثم هتف : « ماذا ؟ .. بقرب ساحل المحيط الهادى ؟ .. هل حدد المكان ؟ .. بيلفاست ، لقد عادوا ! »

وكان لا بد من سفينة ذات اعداد خاص ، لانتشال الكبسولة ، فقد كان وزنها يجاوز ١٩٢٥٠ رطلا . وكانت المياه عميقة في ذلك الموقع من المحيط .. وقد استغرق اعداد السفينة – في سان فرانسيسكو – خمسة ايام ، ثم ابحرت وعلى ظهرها ماستون والدكتور بيلفاست .. وفي تلك الاثناء ، كان الكثيرون يمخرون عباب المحيط ليشهدوا المناسبة .

ولكن السفينة لم تر اثرا للكبسولة ، حين بلغت الموقع .. وقال القبطان :

– ان المساء عميق ، ولا يستطيع غواص – مهما تكن الامكانيات – ان يتجاوز ٣٠٠ قدم تحته .. لذلك لا بد من ان ندلى كرة مجوفة ضخمة من الفولاذ ، بها عدة نوافذ ومصابيح قوية ، ومزودة بالهواء ليهبط فيها غواص ، ثم نحركها فوق القاع ، حتى نعر على الجسم الذي سقط ، فندلى حبالا فولاذية متينة لرفعه ..

وهبطت الكرة الى الماء . . . وواصلت الهبوط حتى القاع ،
والغواض على اتصال تليفوني بالربان . . . وقال له أخيراً :
« اننى ارى القاع ولا اثر للكبسولة . . . جركوا الكرة ببطء
نحو الشمال » .

وحركت الكرة نحو الشمال ، ثم نحو الغرب . . . ثم ناحية
الشرق ، فالى الغرب . . . واستمرت الجهود ستة أيام دون
جدوى ، والقلق يستبد بماستون . . . فلما اكتمل الأسبوع ،
ثار على الربان - وكان يدعى « فينك » - قائلاً : « لقد ظل
أصدقائى فى قاع المحيط اثني عشر يوماً ، دون أن نوفق فى
العثور عليهم . . . ان الهواء الذى لديهم لن يكفيهم طويلاً » .
وقال الدكتور بيلفاست : « من الجائز أن يكون تيسار
قوى قد جرفهم بعيداً » .

وبعد أربعة أيام أخرى ، اصدر الربان ((فينك)) اوامره
للسفينة بالعودة قائلاً : ((لن نستطيع الاستمرار فى البحث
. . . واذا أسرعنا فقد نصل الى سان فرانسيسكو فى وقت
مناسب لتضاء ليلة عيد الميلاد)) .

وفى اصيل ٢٥ ديسمبر ، سماع الربان أحد رجاله يصرخ :
« هناك . . . ناحية الشرق ، ارى جسماً فضياً ، يعلوه علم » .
وتحولت السفينة متجهة الى الجسم . . . واذا اقتربت ،
بدا أن العلم أمريكى . . . وألقى الدكتور بيلفاست المنظار
المقرب من يده ، وهتف : « يا لى من أحمرق ! . . كم وزن
الكبسولة ؟ » . . . واذا اجاب ماستون بأنها اقل من عشرين
الف رطل ، صاح :

- هنا الوزن ، بالنسبة لحجمها ، يجعلها اخف من الماء ،
فماذا كنا نبحث فى قاع البحر ؟

وسرعان ما حمل قارب صغير الربان وماستون والدكتور
بيلفاست الى الكبسولة . . . وكانت النافذة الخارجية العليا

مفتوحة ، وأصوات الرواد الثلاثة تسمع بوضوح ، وهم يرددون بعض الأناشيد ، فقال الربان : « يبدو أنهم يتناولون عشاء عيد الميلاد ! »

اجتماع في نادي السلاح

امتلا « نادي السلاح » عن آخره بالناس . . وما ان ظهر باريكان وآردان ونيقول ، حتى سيطر الهدوء لحظة ، ثم دوت عاصفة من التصفيق الحاد . . فلما هدأت ، قرأ الفينستون تقريرا عن أعمال النادي ، في العام المنصرم ، ثم نهض باريكان قائلا :

« نرى أنه قد تبقى في خزانتنا حوالي سبعين ألف دولار ، بعد أن سدنا جميع تكاليف صناعة المدفع الضخم ، والذخيرة ، وغيرها . فماذا نعمل بهذا المال الوفير ؟ »

ووقف الجنرال مورجان ، فوصف ما آلت اليه الحقول والأشجار في منطقة المدفع ، من جراء اطلاق الكبسولة . . وكانت المنطقة مقصد الناس في عطلاتهم من قبل .

فقال الرئيس باريكان : « هل تقصد ان ننفق المال في عمل شيء من أجل سكان مدينة تامبا ، الذين عاونونا خلال أيام التجارب العلمية ؟ . . اذن ، اقترح اقامة مبنى عال فوق موقع المدفع الضخم ، تعلوه ساعة كبيرة تدق كل ساعة ، فاذا سمع الناس دقاتها تذكروا رواد القمر . »

والى اليوم ، يقوم — فوق جبل الحديد — « مبنى الأجراس » . . فاذا لم تصدقنى ، فاذهب الى هناك ، لتتحقق بنفسك !



تعقيب

الدراسات العلمية في أدب « فيرن »

لعل رواية « جول فيرن » - كما قرأناها في الصفحات السابقة - مثال رائع للدقة الأدبية إذا ما عالج موضوعاً علمياً . . فان الروائي الفرنسي الخالد الذكر لم يطلق خياله على عواهنه ، وإنما درس كافة الحقائق العلمية دراسة دقيقة ، ليبني عليها وقائع روايته . .

على أن الدراسة العلمية لم تكن المجال الأوحده للمجهود الفكري الذي بذله « جول فيرن » . . بل ان هذا المجهود تشعب في اتجاهات كثيرة ، لعل أبرزها يتمثل في تعمق الكاتب في دراسة طبيعة الشعب الأمريكي ، الذي تنبأ بأنه سيكون أسبق الشعوب الى بلوغ القمر . . فقد استطاع أن يسبر غور الطبيعة الأمريكية ، والشعب الأمريكي - إذ ذلك - في طور الحدائثة ، فيقول :

« وغريب أمر الأمريكيين ! . . فعندما تختتم فكرة في رأس أحدهم ، يبحث في الحال عن أمريكي آخر يشتركه تنفيذها . . وإذا اجتمع ثلاثة بادروا الى تعيين واحد منهم رئيساً ، واصبح الآخرين سكرتيرين . . وإذا كانوا أربعة فسرعان ما ينشئون شركة . . أما اذا كانوا خمسة فانهم يؤسسون نادياً . . »

واستطاع « جول فيرن » منذ أكثر من قرن - أن يتبين ناحية أخرى من نواحي الطبيعة الأمريكية ، تلك هي أن الأمريكيين يقيمون حضارتهم واقتصادياتهم على صناعة أسلحة الحرب والدمار . . وقد رأينا كيف راح أعضاء

« نادى السلاح » ينعون على الناس انصرفهم عن الحروب ، مما أدى الى كساد صناعة الأسلحة ، حتى ليقول المدعو « بيلسبي » (أحد أشخاص الرواية) :

(لقد انصرف الناس الى أعمالهم وتجارتهم ووظائفهم . . . أي عصر هذا ؟! . . . الناس - سامحهم الله - يريدون اليوم مزيدا من السيارات الأنيقة . . . والجنود ينصرفون الى عمل غير القتال . . . والقيادة استبدلوا مدافعهم بتجارة القطن . . . ان مستقبل أمريكا في السلاح قد ضاع !)

ويزداد « فيرن » تعمقا في استجلاء طبيعة الشعب الأمريكي ونفسيته ، حتى يكشف الحقيقة التي تبينها العالم جليا ، عقب الحرب العالمية الثانية . . . وهي أن أمريكا لا تتورع عن اشعال نيران الحروب ، لتفتح مجالات لتجارة الأسلحة . . . فيقول على لسان « ماستون » :

(اذا كانت الحرب قد انتهت ، فلابد لحرب أخرى ان تتفجر يوما . . . ماذا دها الناس ؟ . . . لقد كسدت بضاعتنا !)

أما الحقائق العلمية التي توصل اليها خيال الروائي « فيرن » ، قبل أن يبلفها اجتهاد العلماء بأكثر من قرن ، فقد أجاد عرضها « وليام ا . هـ . بيرنى » ، في مقال نشرته مجلة « ريدرز دايجست » أخيرا - في عدد اكتوبر ١٩٦٩ - وما جاء فيه :

« في عام ١٨٦٥ ، كتب « فيرن » يصف الرحلة من الأرض الى القمر - وحول القمر - فشابهت أحداث قصته العمل العظيم الذي قامت به « أبوللو ١١ » ، في عام ١٩٦٩ : من ذلك مثلا أن كبسولة « جول فيرن » كانت تحمل ثلاثة رجال - أمريكيين وفرنسيين - و (كبسولة « أبوللو ١١ » حملت ثلاثة) ، كما كان حجم الكبسولة مقاربا لحجم مركبة الفضاء « أبوللو ١١ » ، اذ كان ارتفاع كبسولة « فيرن » - المخروطية الشكل

والمصنوعة من الألومنيوم - خمس عشرة قدما ، وقطرها تسع أقدام ، بينما كان ارتفاع مركبة « أبولو ١١ » عشر أقدام وسبع بوصات ، وقطرها اثنتى عشرة قدما وعشر بوصات .

.. وكان المكان الذى انطلقت منه الكبسولة - أو الذى اختاره « فيرن » لانطلاقها - يقرب من خط العرض ٧٧ فى (فلوريدا) ، على بعد ١٤٠ ميلا من (نيب كيندى) التى انطلقت منها « أبولو ١١ » ! وفى رواية « فيرن » نجد أن (تكساس) جاهدت الى اللحظة الأخيرة ، لتحصل على شرف اطلاق الكبسولة من أراضيها . وقد قدر لتكساس أن تكون المكان الحقيقى الذى اختارته هيئة الفضاء مقرا للإشراف على سير رحلة مركبة « أبولو ١١ » .

ولقد قدر ((فيرن)) سرعة الكبسولة - عند اطلاقها - بستة وثلاثين ألف قدم فى الثانية .. وبعد اطلاق مركبة ((أبولو ١١)) ، كانت سرعة محرك المرحلة الثالثة ٣٥٣٣ رز ٣٥٣٣ قدما فى الثانية ! .. وقدرة ((فيرن)) لكبسولته زمنا لا يزيد على ٩٧ ساعة و ١٣ دقيقة و ٢٠ ثانية لئى تصل الى القمر ، وكان الوقت الذى استغرقته ((أبولو ١١)) - فى رحلتها - ١٠٣ ساعات و ٣٠ دقيقة ! .. ودارت كبسولة ((فيرن)) عدة مرات حول القمر ، وعلى نفس الارتفاع الذى وصلت اليه مركبة ((أبولو ١١)) القادمة ..

ولقد عاين رجال الفضاء - الذين كانوا فى الكبسولة - حالة انعدام الوزن ، وصور كل من الفريقين السطح القمري .. كما رسم « فيرن » - منذ نحو مائة عام - بحر الهدوء الذى هبط اليه فى ١٩٦٩ كل من « نيسل آرمسترونج » و « أدوين ألدرين » ، حتى أن خاتمة القصة وخاتمة رحلة « أبولو ١١ » تشابهتا الى درجة تدعو للغرابة والدهشة ،

فقد هبطت كبسولة « فيرن » في المحيط ، وهبطت كبسولة « أبوللو ١١ » في المحيط أيضا .. والتقطت سفينة ضخمة رجال الفضاء بعد هبوطهم من القمر الى المحيط في الحاليتين !



وهكذا يمكن القول أن « جول فيرن » كان من أعظم كتاب القصة العلمية الخيالية في عصره ، أي في منتصف القرن التاسع عشر الذي عاش فيه .. وكان أحد هؤلاء الذين تنبأوا بهذا الانتصار العلمي الرائع ، كما كانت له عدة كتب علمية على جانب كبير من الأهمية ، منها : « عشرون ألف فرسخ تحت الماء » - التي تصور فيها الفواصة قبل أن تبتدع - وقصته المشهورة « ثمانون يوما حول العالم » ، التي وصف فيها الطائرات قبل أن تظهر الى الوجود !

وفي قصته المشهورة هذه : « من الأرض الى القمر » ، كانت حساباته وتقديراته كلها صحيحة ودقيقة ، لأنه اعتمد على قوانين الطبيعة وطبقها في تصوراته وتخيلاته ، واعتمد كذلك على النظريات الفلكية القديمة ..

بل لقد أمدت ((التكنولوجيا)) الحديثة سفينة الفضاء « أبوللو ١١ » بالقوة اللازمة للهروب من جاذبية الأرض ، تماما كما تخيلها « فيرن » عندما فرت كبسولته من الجاذبية الأرضية وهي مندفعة من الأرض بقوة عظيمة .. ولعل الأغرب أن « فيرن » صوب كبسولته نحو القمر بنفس الطريقة التي صوبت بها هيئة « ناسا » (NASA) مركبة « أبوللو ١١ » نحو النقطة التي حددت لها على القمر ..

.. ووصف « فيرن » لحظة انطلاق الكبسولة (كما تخيلها في عام ١٨٦٥) ، بهذه العبارات : « وزلزلت الأرض زلزالها ، وانطلقت الكبسولة تشق طريقها نحو السماء ،

وصوت الرعد يصم الأذان ، وكان
يركانا قد انفجر فجأة ، فالتهبت
السماء ، وظهرت كرة من النيران ،
وترأى حوله الأبخرة وسحب
الدخان . . . »

وهذا ما حدث عند إطلاق
كبسولة « أبولو » . . .

ولم يهبط رجال « فيرن » على
سطح القمر ، لأنهم ارتكبوا خطأ
بسيطا ، وكان ذلك من حسن حظهم ،
لأن المؤلف لم يمدهم بأردية فضاء
خاصة . . . ولكن « فيرن » العظيم
أمدهم بمحركات صاروخية مثل
المحرك الصاروخي الذى استخدمه
رواد « أبولو ١١ » عند عودتهم من
القمر الى المحيط الهادى !



جول فيرن . . . فى
أخريات أيامه

. . . وأخيرا ، منذ أسابيع ، احتفلت قرية (آمى) بفرنسا
بابنها البار « فيرن » ، ومنحت - فى هذه المناسبة - كلاما من
« آرمسترونج » و « كولنز » و « ألدرين » التقليد المعروف
بأن يصبحوا « مواطنين لها » ، تماما مثل سلفهم العظيم
« جول فيرن » .

الحياة الجنسية عند الإغريق

للباحث الاجتماعي
"هانز ليشنت"



SEXUAL LIFE IN ANCIENT GREECE

BY: HANS LICHT

تلخيص : محمد بدر الدين خليل

لكي تفهم قوما .. ادرس حياتهم الجنسية

النوازع الجنسية للانسان ، تصفى اضواء على معظم نواحي سلوكه وتصرفاته ، وعلى مختلف نشاطاته الفنية والادبية والذهنية بوجه عام ..

لذلك كان لهذه النوازع - وما يصحبها او يترتب عليها من عادات وتقاليد - دور كبير في دراسة حضارة اى شعب - او اية امة - وثقافتها .. ولعل الدراسة التى قام بها البروفيسور « هانس ليشت » ، خير مثال لذلك . فان الحضارة الغريية الراهنة ، اخذت الكثير من فنونها وفلسفاتها ومثلها الاخلاقية ونظرياتها السياسية عن الاغريق ، شعب اليونان القديمة . لذلك كان لزاما - لادراك وتقييم الحضارة الغريية المعاصرة - ان نلم بالحياة الجنسية لدى الاغريق ، ومكانة المرأة في حياتهم .. مكانة المرأة من الرجل ، ومن البيت ، ومن المجتمع ، ومن الدولة .. المسائل الجنسية فى الدين وفى الادب .. البغاء ، والانحرافات الجنسية عند الرجل .. البغاء واثره فى النهضة الفكرية !!

كل هذه النواحي ، عالجها البروفيسور « ليشت » فى دراسته ، باسلوب رشيق مشوق ، يمزج الفائدة الثقافية بالتسلية .. وفى الصفحات التالية ، نقدم الحلقة الاولى من هذه الدراسة ، ونرجو ان تتبعها بعلاقات اخرى ..

الحياة الجنسية عند الاغريق

⊙ بالرغم من أن الشباب ومباهجه - ومن بينها الحب بوجه خاص - كانت أهم عناصر السعادة الكبرى لدى اليونان ، فان هناك عناصر اخرى كانوا يتطلعون اليها لتحقيق السعادة ، ومنها : الزوجة ، والولد ، والشهرة ، والظفر فى

الحرب . والسمعة المشرفة لصاحبها ، والصحة . وان تباينت آراء كتابهم وفلاسفتهم في أى هذه العناصر أولى بالتقديم على سواه ! . . وكان الشاعر « ثيوجينس » أول من وضع الصحة كأعظم سعادة يجدر بالإنسان أن يسعى من أجلها ، ثم أردفها بـ « الظفر بما يحب المرء » . . ويبعدو - لأول وهلة - ان الشاعر تعمد أن يجعل عبارته « الظفر بما يحب المرء » مبهمة لكيلا يقطع بما اذا كان يعنى « الحب » بمعناه المعروف ، أو « الحب » بمعنى الرغبة في اقتناء أشياء أو تمنى تحقيق أمور مبتغاة . ولكن الأرجح أن « ثيوجينس » قصد الحب بمعناه الأول ، وانما تعمد الإبهام لأن الاغريق كانوا يعرفون من الحب نوعين : الحب الذى يربط رجلا وامرأة ، والحب الذى يربط اثنين من جنس واحد . .

ومهما يكن الأمر ، فليس من شك في أن الاغريق كانوا يضعون الشباب والجمال والحب في مقدمة ما يشتهى لتحقيق السعادة . . وكان شعراؤهم يتغنون بان : ((الصحة أفضل ما يشتهى الانسان الفانى ، يليها الجمال الشخصى الفاتن ، ثم الثروة المكتسبة بدون عس ، ثم أن يكون المرء الأنصر شبابا بين أصدقائه)) .

ويرى كثير من المتعمقين في دراسة الاغريق ، أن الثقافة الاغريقية كانت « أفنية » مقصورة على اطراء « هيدون » ، أى الاستمتاع البهيج بالحياة ، وأحلى مباحج الحياة هو الحب . ولقد كانت الشهوات الحسية العسارية في أعرق بذور طبيعتهم ، وان لم يطلقوها الى درجة الوحشية أو البهيمية ، كما فعل الرومان ، بل جعلوا منهاها النشوة والحبور . ومن هنا ترى السر في أن كبار المفكرين الاغريق كانوا يقرون حق الانسان في المتع الحسية . ولم يدع « سوفوكليس » الى امتداح الشيخوخة « لأنها تحرر المرء من ربة الشهوات الحسية » الا عندما طعن في السن !

الجنس .. حتى بين الآلهة !

❊ وليس أدل على هذا ، من أن الشعر اليوناني القديم - منذ هوميروس - لم ينزه الأرباب والآلهة الإفريقية عن الاستسلام لشهوة ارضاء الحواس الجنسية . فالربة « هيرا » - في « الياذة » هوميروس - عمدت الى فتنة زوجها « زيوس » بتشويقه واثارة رغبته . . ولم تكتف بما أضفته على نفسها من زينة ، بل استعارت من الربة « افروديت » حزامها السحري : « حزام الحب والشبق الذي يخضع بسحره قلوب كل الآلهة وكل المخلوقات الفانية على وجه الأرض » . . ويصف « هوميروس » الحزام بأنه كان يحتوى على كافة فنون الفواية وطرق المتع الجنسية ، مما يسلب الحكيم عقله . وحاولت « هيرا » - بعد ذلك - أن تفرى الرب « هيبينوس » - اله النعاس - بأن ينيم « زيوس » ، بعد أن تحظى معه بكل لذائد الحب ، حتى تنفسح لها الفرصة لمساعدة الأفريق الذين كان « زيوس » يوشك أن ينصر الطرواديين عليهم في الحرب المعروفة . .

ولقد أفرد « هوميروس » جزءا ليس بالبسيط من الكتاب الرابع عشر من « الياذة » ، لوصف ما دار بين « هيرا » و « زيوس » من لقاء . . كما أفرد شطرا من الكتاب الثامن من « الأوديسة » لوصف ما كان من الربة « افروديت » ، إذ انصرفت عن زوجها القمء « هيفايستس » لتفسرى « آريس » - رب الحرب الجميل ، الشاب ، القوى - وتندمج معه في غرام غير مشروع . . فما كان من الزوج المصدوم إلا أن دعا الآلهة جميعا ، وأراها العاشقين عاريين وقد غابا في عناق شهوانى . . وبدلا من أن تثور آلهة الاغريق للمشهد الفاضح ، قال ابن كبير الآلهة « ايوللو » للاله « هرمس » - ابن زيوس - ما معناه : « الا تحب - اذا اتيح لك - ان تضاجع

افروديت الذهبية ؟ » .. هنا بالرغم من أن افروديت ربة الحب كانت زوجة ، وكانت - فى ذلك المشهد - تخون زوجها فتهدر الفضيحة الزوجية والوفاء الزوجى ! .. ولكن ((بهجة الاشباع الجنىسى)) أعمت الآلهة عن ((بشاعة الخطيئة)) !

ولقد كتب الفيلسوف « هيراكليس بونتيكس » - وهو من تلاميذ أفلاطون - كتابا عن « اللهو واللذة » ، قال فيه ان الترف فى الحياة - لا سيما فى الخلاعة والمتع الجنىسية - حق مقصور على الطبقات الحاكمة ، فى حين أن الشغل والكدح نصيب الفقراء والعبيد .. وهكذا أدخل « الجنس » فى الحقوق التى تفرق بين الطبقات !!

و « المتعة » كغاية حقيقية فى الحياة ، كانت شعار مدرسة فلسفية أنشأها « اريستيبوس » . ولعل فى الفقرات السابقة ما يكفى لظهار مدى ما كانت « الملذات الحسية » تحتله فى ثقافة الاغريق .

المرأة والزواج عند الاغريق

❶ خطأ ما يقال من أن مركز المرأة المتزوجة - عند الاغريق - كان وضيعا . والواقع انهم كانوا من أول الشعوب التى أخذت بالفكرة الحديثة ، التى تقول ان المرأة صنفان : ام ، ومحظية !

ولم يخلع أحد من التكريم على الصنف الأول - أى الام - قدر ما خلع الاغريق ، إذ كانوا يعتبرون أن المرأة تحقق غاية حياتها عندما تصير أما ، فكانوا يعهدون اليها بمهمتين هما أرقى المهام : تدبير الشؤون العائلية ، وتربية الأطفال الى أن تتزوج البنات منهم ، والى أن تستيقظ الفردية الروحية للنفس لدى الذكور . وهكذا كان الاغريق يرون أن الزواج وسيلة الى غاية ، هى توفير جيل من الأبناء الشرعيين يخلف

الجيل الذى سبقه ، الى جانب ان الزواج يوفر ادارة موثوقا بها لتدبير شؤون البيت والأسرة . ولهذا كانت للمرأة السيطرة الكاملة على هذه الشؤون .

ولقد يتساءل أبناء العصر الحديث : ألم تكن حياة كهذه تحرم المرأة من النشاط الاجتماعى ، وتلقى بها الى عزلة مملة ؟ . . والجواب بالنفى ، لأن المرء لا يهفو الى أشياء لا يعرفها ، فضلا عن انها كانت تأخذ المهمتين الموكولتين اليها - البيت والنشء - مأخذ الجد والفخر . وان الزواج والمرأة ليتدندان - فى أقدم ما سجل من آداب الافريق - بكثير من التمجيد والاعزاز اللذين لا يخطران ببال . وليرجع من لا يقتنع بهذا القول ، الى ((الاوديسة)) ، وليقرأ الدور الذى قامت به ((بنيلوبى)) زوجة ((اوديسيوس)) ، وكيف ظلت وفية لعهد طيلة السنوات المضيئة التى غابها عنها ، حتى اذا أذى مشاعرها مسلك المعجبين بها - ممن راحوا يخطبون ودها - استمدت من ضعفها قوة ، وانبرت لهم فى جلال الملكة التى اهينت ، فردتهم الى حدودهم بكلمات ما كانت لتصدر الا عن امرأة تعتر بمكانتها كأمراة .

وما كانت أشعار « هوميروس » لتزخر بالصور الرائعة عن حياة المرأة ، لو أن المرأة الافريقية كانت شقية بنصيبها . . ولقد أشار « اريستوطاليس » الى ان أشعار « هوميروس » تبين أن الرجل كان يشتري عروسه من أبويها ، بما يقدم من هدايا . . ولكن من واجبنا أن نشير الى أن الافريق كانوا يعتبرون البنات غير المتزوجات من أعلى أعضاء البيت ، ومن ثم فلا بد من تعويض قيم ، اذا أريد انتزاعهن من البيت عند الزواج .

الحياة الزوجية أبشع ذنوب المرأة

• ومن ناحية أخرى ، كان لخيانة الزوجة دور كبير فى

الأدب الإغريقي القديم . . حتى ان الحروب الطروادية قامت على ما قيل من أجل خيانة « هيلين » لزوجها « منيلاوس » ، وانطلاقها الى بلاد أجنبية وراء « باريس » الفاتن . . كما روى « هوميروس » قصة « كليمتيمسترا » - زوجة « أجاممنون » - التي استسلمت لغواية « ايجيستوس » سنوات غياب زوجها الطويلة ، ثم ذبحت هذا الزوج - عند عودته - بعد ان تظاهرت بالابتهاج لرؤيته ا

ومع ذلك ، فإن تصوير « هوميروس » للخiantين ، يوحى بأن الغادرتين انما كانتا ضحيتين لغواية سلطتها عليهما « افروديت » . . ولكن هذا لم يكن كافياً لتبرير الخيانة الزوجية ، مما فتح الباب لتحقير الجنس الانثوى ، ولظهور « كارهي النساء » في الثقافة الإغريقية .

واذا كانت أشعار « هوميروس » قد صورت نساء المشاهير وعلية القوم ، فان اشعار « هسيود » تؤكد ان نساء الفلاحين والرعاة والصيادين - ومن اليهم - لم يكن اقل حظاً من نساء الطبقة الراقية . . مما يعزز ان المرأة الإغريقية كانت تستمتع بحياة كريمة . ويفدق « هسيود » أرق الكلمات ، اذ يصف الفتاة التي لم تتزوج بعد بأنها « تبقى في البيت بجانب أمها العزيزة ، لأنها لم تكتسب بعد خبرة بفنون أفروديت الذهبية » . . وبينما يتعرض الرجال - خارج البيت - للعواصف الهائجة ، والبرد الزمهرير ، تنعم هي بحمام ساخن في حجرتها الكاملة التدفئة ، وتزيد من ليونة والتفاف أعضاء جسمها العذري اذ تدلكها بزيت البلسم . .

على أن هذا الشاعر - الذي نشأ في بيئة ريفية - لم يغفل أن بين النساء من هن صالحات ، وبينهن الفاسدات . . « فالزوجة الصالحة ثروة ثمينة ، أما الشريرة فهي أسوأ عذاب » . . وقد خلع كل سوء وشر في العالم ، على امرأة أورد

ذكرها في كتابه « أعمال وأيام » ، هي « باندورا » الحمقاء المقرورة ، التي صبت من صندوقها على الجنس البشرى كل الشرور . . ولم ينس أن يحذر الفتيات الساذجات من الفرور الذي يقود الى الخلاعة ، والذي يغريهن بأن يضاعفن مفاتنهن بحركات خليعة لوخراتهن ، وبتسليط فتنة « اعضاء الشباب » - أي الأعضاء المثيرة جنسيا ب على الرجال . .

المرأة بين البيت والمجتمع

• وعلى مر الأعوام ، ازداد تركز الثقافة اليونانية على الذكور ، حتى ان الحديث عن التعليم اقتصر على الصبية والقلمنان . . وحتى لقد قال « هيبوليتس » في كتابه عن « يوربيدس » ان المرأة المتزوجة لا ينبغي أن تكون أمهر وأحذق مما يناسب مهمتها في الحياة . لذلك استولى على الافريق الاقتناع بأن أصلح مكان للمرأة والفتاة ، هو قسم « الحرير » في البيت ، حيث لا حاجة بهما الى كتب العلم . . ولما كان الحديث والنقاش والجدل هي اشهى المتع لدى الرجال - في اللقاءات الاجتماعية - فان النساء لم يلبثن ان شعرن بنقص كفاءتهن في هذا المضمار ، فازددن انزواء في عزلة « الحرير » . . اللهم الا في (اسبرطة) غالبا .

ومع ان الزواج كان يتيح للمرأة قدرا اوفر من الحرية ، فان « البيت » ظل الملكة التي يجب الا تتجاوزها . . و « المرأة التي لا تبقى في بيتها ، تجتلب اللوم لنفسها » ! . . بل اننا لنستنبط من الثقافة الافريقية ، انه لم يكن يليق بالمرأة ان تخرج من بيتها ، الا اذا بلغت سنا لا يتساءل عندها من يراها عن « زوجة » من هي ، وانها « ام » من هي . . وأن الفتاة غير المتزوجة تحتاج الى مراقبة وحراسة .

وكان من التقاليد ان المرأة اذا اضطرت للخروج من بيتها وجب أن يكون في صحبتها رجل مسن من الأسرة ، أهل للثقة

.. بل ان « يوربيديس » كان ينصح الأزواج بتجنب السماح لزوجاتهم باستقبال نساء أخريات فى بيوتهن ، لأن « بين النساء معلمات لتلقين كل سوء وشر » .

وصحيح ان هذا الوضع للمرأة لم يكن قائما فى كل بلاد اليونان ، ولكنه كان قائما فى كثير من الأماكن ، وفى (أثينا) بالذات .. ونحن لا نملك هنا أن نخوض فى التفاصيل ، لأن همنا الأول هو أن نرسم صورة للحضارة الاغريقية فى أوسع نطاقاتها .. صورة نعتبر فيها بلاد اليونان وحدة متماسكة برباط اللغة والعادات ، دون أن نتجشم عناء الخوض فى نواحي الاختلاف ، فى كل مناسبة .. وما أبعد الفوارق ، لو أننا استقنا لبيانها . فبينما كان كثير من الاغريق يحسبون نساءهم فى « الجينايكونيتس » - أو « الحریم » - فى غرفة موصدة الباب ، محكمة الحراسة ، يقف على مدخلها كلب ضخيم شرس .. نجد ان أهل (ليديا) - على ما ذكر هيرودوتس - لم يكونوا يرون أى حرج فى أن تمارس الفتاة البغاء لتكسب نفقات ثيابها ! .. ونجد ان نساء (اسبرطة) كن يرتدين ثيابا مشقوقة الى ما يقرب من الخصر ، بحيث تكشف عن معظم افخاذهن حين يمشين ..

المهم ان العزلة التى فرضت على المرأة الاغريقية - بوجه عام - أدت الى سداجة فى شخصيتها ، وضيق فى تفكيرها وعقليتها .. حتى لقد ورد فى كتاب بلوتارخ أن غريما للملك « هيرود » عبره بأن لفمه رائحة كريهة ، فأسرع الملك مقضبا الى زوجته ، يؤنبها لأنها لم تنبهه الى ذلك .. وبكل بساطة وسداجة ، أجابته الزوجة : « لم أر داعيا لتنبيهك ، فقد كنت أظن ان لجميع الرجال هذه الرائحة » ! .. على أنه بقدر ما يزخر الأدب الاغريقى بحكايات من هذا القبيل ، نجد حافلا بحكايات تبين ان الرجال كانوا يحترمون الزوجات ،

وكان الواحد منهم يميز زوجته بأن يلقبها « أم الاولاد » ،
بينما يطلق على سواها لقب « المرأة » - مجردا من كل لباقة
ومجاملة - دون تفريق بين الملكة أو المرأة العسادية ..
ولا نصادف لقب « سيدتى » أو « مولاتى » للملكة ، الا بعد
قيام الامبراطورية الرومانية ..

السبب الرئيسى للزواج

● وكانوا يقسمون النساء الى ثلاث طبقات : « الغوانى
المحظيات للهونا ومتعتنا ، والجوارى للخدمة اليومية ،
والزوجات ليحملن لنا اطفالا وليدبرن شؤون بيوتنا
باخلاص !

على أن مكانة « الجوارى » لم تكن مقصورة على الخدمة ،
فبحن نجد في آثار الافريق الأدبية أن « الجوارى » كن رقيقا ،
لأصحابهن الحق في بيعهن ان شاءوا .. كما نجد انهن كن
يذكرن مع الأم والزوجة والأخت والإبنة ، مما يوحي بأن
العلاقة بين الرجل وجاريتته ربما كانت على غرار علاقة الرجل
بزوجته .. يؤكد هذا ، أن تعدد الجوارى فى حوزة الرجل ،
لم يكن شائعا قبل العهد البطولى الذى وصفه « هوميروس »
فان الغالب أن يمتلك الرجل جاريتة واحدة .. ومن المحتمل
انه لم يكن يجعلها كالزوجة - لتحمل له اطفالا - الا فى أوقات
الحاجة ، كفترات الحروب ..

وكان السبب الرئيسى الذى يحدد بالرجل الى الزواج
هو الرغبة فى « انجاب نسل شرعى » .. وكان الأمر فى
(اسبرطة) يذهب الى أبعد من هذا الملى ، إذ لم يكن من غير
المالوف - كما ذكر (بلوتارخ) - ان « يحول الزوج حقوقه
الزوجية لرجل أقوى منه فحولة - يستطيع أن ينجب اطفالا
يمتازون بالجمال والقوة - دون أن يؤثر هذا على الزواج !
.. وقبل أن نعقب على هذا ، سبقنا « بلوتارخ » فيذكر ان

الزواج الاسبرطى كان أشبه بـ « توليف الخيل » ، من حيث ان أهم ما فيه هو انجاب سلالة تمتاز عددا ونوعا ! ويمتلىء الأدب الاغريقى القديم بقصص السخرية من الأزواج الذين على هذه الشاكلة ، أو الذين كانوا يتخسلون زوجاتهم شباكا للايقاع بالأغراب وابتزاز نقودهم . .
الزواج فرض يلقى تاركه التحقير

❦ غير أن الزواج كان يعتبر فى (أثينا) - وفى بلاد اليونان بوجه عام ، اذا جاز لنا أن نصدق « أفلاطون » ، فى كتابه « القوانين » - أداء لواجب مفروض نحو الآلهة ، اذ يجب على المرء أن ينجب أولادا ليكونوا خداما وعبادا للآلهة . كذلك كان يعد أداء لواجب أدبى ، هو ضمان بقاء الدولة بانجاب مواطنين لها . على أننا لا نجد معلومات - يوثق بها - عن قوانين تفرض الزواج على الرجل ، اللهم الا فى (اسبرطة) . . واذا كان « أفلاطون » قد اتجه الى جعل الزواج فرضا ، يعاقب الرجل - اذا لم يؤده - بالغرامات ويفقدان الحقوق المدنية ، فانه قد اتفق ، فى هذه النظرية ، مع الاسبرطيين الذين لم يكونوا يعاقبون الأعزاب فحسب ، بل كان عقابهم يمتد - على ما أورد « أريستون » - الى الذين يتزوجون فى سن متأخرة ، والى الذين يعقدون زيجات سيئة ، كتلك التى لا تتوفر فيها الكفاءة بين الزوجين ، أو التى لا تثمر أطفالا ! . . وكان القانون الذى وضعه المشرع الكبير (ليكوجوس) ينص على عقوبات لغير المتزوجين ، منها : « الحد من الحقوق المدنية ، فلا يسمح لهم بالاشتراك فى مهرجانات الفلمان العرايا » . . وكانوا فى الشتاء « يؤمرون بأن يطوفوا بالأسواق وهم يرددون أغنية تحط من شأنهم ، ويعلنون أنهم يستحقون ما يصيبهم ، جزاء لعدم طاعتهم قوانين بلادهم » . . كذلك كانوا يحرمون من الاحترام والتوقير الواجبين على الصغار نحو الكبار !

ولا يبدو أن هذه القوانين كانت كبيرة الاثر - حتى في (اسبرطة) ذاتها - إذ أن عدد الرجال غير المتزوجين في اليسونان ، كان كبيرا . . فكثير من الرجال كانوا يؤثرون الاحتفاظ بحريتهم وراحة بالهم ، التي تعكرها مسئوليات وهموم الزوجة والأطفال . وبعض الرجال كان يعرض عن الزواج نتيجة كراهية طبيعية للنساء عامة !

ولعل فيما أجراه « بلاوتوس » على لسان « بربيلكتومينوس » - بطل احدي تمثلياته - خير تصوير لذلك ، فهو يقول لضيفه « باليستريو » :

« - الحمد لله الذي وفر لي أسباب اكرامك في بيتي . . كل واشرب ما شئت في صحبتي ، واستمتع اكمل استمتاع . . اننى املك حريتي ، واحب أن أعيش على هواي . . اننى غنى ، وكان بوسعى أن اتخذ زوجة ذات ثروة وجاه ، ولكنى لا أميل الى ابواء « عنصر عكننة » في بيتي !

« باليستريو : كيف يا سيدى ؟ . . ان انجاب الأطفال واجب بهيج ، كما تعرف . »

« - أقسم أن فباهج الحرية اكثر متعة . . من المفرح جدا أن يتزوج المرء من زوجة صالحة - اذا وجدت على الأرض بقعة يمكن العثور فيها على واحدة - ولكن ، أحضر لبيتى امرأة لن ينطق لسانها قط بعبارات كهذه : « اشتر لي بعض الصوف يا زوجى ، لأصنع لك وشاحا دافئا وبعض ثياب لا تشعرك ببرد الشتاء » . . لن أسمع شيئا كهذا من زوجة ، ولكنها ستوقظنى قبل صياح الديك لتقول : « اعطنى نقودا يا زوجى ، لأقدم هدية لأمى . . اعطنى نقودا أقدمها للعرافات والساحرات في عيد منيرفا ، ولفسرى الأحلام ومستطلى الغيب . . وهناك صانعة الأزياء ، لا بد أن أكافئها بما يليق . . والقابلة « الداية » كذلك ، فهى تفتح لائى لا أرسل لها من

«المنح الا القليل .. ثم ، ألن ترسل شيئاً للممرضة التى تعنى
بالعبيد المولودين تحت سقف دارك ؟ » .. هذه الاتجاهات
المسرفة لدى النساء - وكثير من أمثالها - تمنعنى من أن أتخذ
زوجة تعذبنى ... »

تبنى الأطفال وبيعهم

● الى جانب كثرة الرجال - الذين كانوا على هذه الشاكلة
- فان الاناث كن أغلبية ، من حيث العدد ، فى اليونان ، اذ
ان الحروب كانت تلتهم صفوة شبابها . لذلك فلسنا نغالى
اذا قلنا ان « العوانس » لم يكن قلة نادرة ، وان ثم يتجشم
المؤلفون اليونانيون عناء الاسهاب فى الحديث عن هذه الطائفة ،
اذ كانت المرأة - بوجه عام - ذات دور ثانوى فى الأدب الاغريقى
.. وان كان « اريستوفانيس » قد أجمل أمرها ، على لسان
بطلة مسرحيته « ليسيستراتا » اذ تقول : « ولكن عمر المرأة
قصير ، وما لم تحسن استغلاله فلن يرغب أحد فى الزواج
منها ، وتظل جالسة ترقب الطوالع ! »

واذ كان السبب الرئيسى للزواج هو « انجاب نسل
شرعى » ، فان الأدب الاغريقى يحفل بذكر « الرجل المتزوج
العقيم » .. الذى كثيرا ما كان يلجأ الى « التبنى » ، متعللاً
بالرغبة فى أن يترك خلفه من يحمل القرابين وآيات الحب الى
القبور !

ويقول بلوتارخ ان شريعة « ليكورجوس » - فى اسبرطة
- كانت تقضى بوضع الأطفال الضعاف والمشوهين فى أخدود
بالى جبل (تايغيثوس) ، وتركهم معرضين لعدوان الطبيعة
.. ولكن شيئاً من هذا لم يعرف فى (أثينا) ، لا سيما فيما
يتعلق بالبنات .. فالأطفال الذين كان أهلهم يزهدونهم -
لميسوب فى تكوينهم - كانوا يوضعون فى قوارب كبيرة من
الفخار ، بطريقة تكفل ان يمثر عليهم من قد يكونون محرومين

من الأطفال ، فيعطفوا عليهم ويراخذوهم . كذلك كان يحدث أن يبيع أناس أطفالهم ، لا سيما للزوجات المحرومات اللاتي يخشين أن يفقدن أزواجهن من جراء عدم الانجاب . وقبل أن تنتقل الى « عادات الزواج » ، نذكر ذلك الحديث الذي وجهه بطل « اكسينوفون » الى عروسه ، بعد زواجهما بقليل ، من أن الزوجة يجب أن تكون عفة طاهرة ، عاقلة ، تعرف كيف تصنع الثياب ، وكيف تغزل الصوف ، وتعطى لكل خادم ما يناسبها من أعمال البيت . وعليها أن تحافظ على ما يكسبه زوجها بعمله من مال ومقتنيات ، وأن تحسن استخدام ثروته . أما مهمتها الرئيسية فهي تربية وتربية الأطفال . كما كان عليها أن ترعى صحة ورفاهية كل من في بيتها - من سادة وعبيد - أناثا وذكورا . . ومن واجبها أن تعلم أفراد الأسرة كل ما يجدر تعلمه ، وأن تحكّمهم وتربيهم بحكمة . .

عادات الزواج لدى الاغريق

● كان الاغريق يدبرون زيجاتهم بعقلية حسابية : فلم تكن الخطبة الطويلة معروفة عندهم ، وكان لمرکز الأسرة و « للدوطة » - عند اختيار العروس - نصيب أوفر مما للجمال والخصال . . على أن هذه لم تكن بالقاعدة الجامدة ، فإذا ما بهر جمال ابنة رجل فقير شابا غنيا ، كان أبوها يسارع الى اقناعه بالتجاوز عن « الدوطة » الضخمة ، كما فعل « بوكليو » في قصة « أولولاريا » للشاعر « بلاوتس » ، إذ قال للشاب :

- اليك الموقف كما أراه يا مجادورس : أنك غني ، ذو مكانة ، أما أنا ، فرجل فقير . وإذا قدر لي أن أزوجك ابنتي ، فإني أتمثل أنك ستكون الثور ، وأنا الحمار . فإنا أسرجنا

معا الى مركبة ، فلن أقوى على جز نصيبي من الحمل ، واذ
ذاك ساقع في الوحل ، في حين أنك لن تحفل بي . أنك تفوقنى
بكثير ، وسيوسعنى قومي انتقادا . ولو قدر لى ان اقع ، فلن
يقبلنى قومي ولا قومك بينهم . . انها لسالة محفوفة بالمخاطر ،
ان يحاول الحمير التسلق الى طائفة الثيران !

ولا يحتمل أنهم كانوا يسمحون للخطيب والخطيبة بأن
يكثرا من الالتقاء فى خلوة . يدل على هذا ما كان يطالب به
« افلاطون » - لتفادى الغش والخداع - من السماح للطرفين
بمزيد من الحرية فى التلاقى . ومن ثم ، فسرمان ما كان
الزوج يرى الزواج قيذا ثقيلًا ، وتجد الزوجة أن الزواج
مخيب لآمالها ، وانها كانت أسعد حالا فى بيت أبيها . . أو على
حد تعبير « سوفوكليس » فى بعض كتاباته : « فان الجهل
يكسبنا مسرة . أما حين ننضج ، ونزداد معرفة ، فاننا نساق
بعيدا عن آلهتنا وآبائنا وأقاربنا ، ونباع . . بعضنا لأجانب ،
وبعضنا لهمجيين ، وبعضنا لبيوت غريبة . . وبمثل هذا
الحظ - وبعد ليلة واحدة تربط بيننا - يتحتم علينا أن
نرضى ، وأن نرى أن هذا هو الخير !

الخطبة . . فى دورها الخالد !

● وكانوا يحسبون لحكم الطبيعة حسابه ، فالمرأة أسرع
ذبولًا من الرجل ، لذلك كان ينبغى أن تكون العروس أصغر
من العريس سنا ، بدرجة مناسبة . . وبالتالي ، اذا لم يقدر
للأب أن يجد زوجا لابنته - وهى فى سن مناسبة - كان عليه
أن يلجأ الى احدى الخطابات ، اللواتى كانت مهارتهن تتجلى
فى إبراز صفات الزوجة ومزاياها . . ويبدو من كتابى :
« اكسينوفون » و « افلاطون » ، أن مهنتهن لم تكن تحظى
بسمعة فوق مشار الريب ، فمنهن من كن يدبرن اللقاءات

الغرامية ، التي قد تفقد فيها الفتاة عفتها ، دون أن تظفر بالجاني زوجها !

وإذا قدر للخطبة ان تتم ، كان مقدار ((الدوطة)) يحدد بالاتفاق بين الطرفين ، تماما للصفة القانونية . وأحيانا ، كان اهل الخير - أو الدولة - يوفرون ((الدوطة)) للعروس الفقيرة . ويروي ((بلوتارخ)) ان كلا من ابنتي ((اريستيد)) تسلمت ٣٠٠٠ دراخما - أي حوالي ١٣٥ جنيها مصريا - لهذا الغرض .

ولسنا بحاجة الى ان نذكر ان الزوجة كانت ملزمة - الى جانب الدوطة - بالمفروشات ، والملابس ، وأثاث البيت ، والهيبد أحيانا . ولقد أورد « سولون » في تشريعه ، ان الجزء الثقيل من الدوطة يجب ان يستبعد ، لكي لا تطفى المادة على الغاية السامية من الزواج . ولكن هذا القانون ظل - في الغالب - حبرا على ورق . . كما يؤثر عن « بلوتارخ » قوله ان الإغلاب أفضل للرجل من أن يغدو رقيقا مستعبدا لدوطة زوجته !

العريس يختطف عروسه ويقتصبها !

● وكان الشتاء عادة هو انسب فصل للزواج - وان لم نجد في التراث الافريقي سببا يبرر هذا - وكان اول شهور الشتاء يدعى « جامتليون » ، وهو اسم مشتق من كلمة الزفاف باليونانية ، وكانت المعتقدات الخرافية تدعو لتجنب فترة تناقص القمر - بعد اكتمال البدر - لاتمام الزفاف . وهناك طقوس كانت تؤدي قبل الزواج ، أهمها تقديم القرابين للالهة التي ترمي الزواج ، لا سيما الربة « هيرا » والرب « زيوس » . . وفي يوم الزفاف بالذات ، كان لزاما ان تقدم قرابين أو تضحيات (تقدمات) للربة « أفروديت » . . ويقول « بلوتارخ » ، ان التقاليد - في بلدة (تيسبينا) - كانت

تقضى بأن يأوى العروسان الى معبد « ايروس » ، ليستمداً من تمثال الرب السعادة والبركات . وفى كثير من الأماكن كانت العادة أن تقدم العروس على المذبح خصلات من شعرها - رمزاً لانتقالها من مرحلة الضبا - وحزام عفتها ، رمزاً لتحللها من البكارة . .

وكان يسبق هذه الطقوس - أو يعقبها - حمام العروس ، الذى كان يعهد الى صبي من جيران العروس باحضار الماء اللازم له ، من مكان خاص فى بلدتها . . وفى (اسبرطة) بالذات ، كان على العريس أن يختطف عروسه بعيداً - وفق خطة معروفة لوالديها - اثناء الاحتفال بالزواج ، ثم يفتصبها ويفض بكارتها . . وكان ينام ليله مع أصدقائه ، ثم يتسلل خلسة الى عروسه . . وهو فى خجل وخوف من أن يراه أحد من أهلها !

ويقول « بلوتارخ » أن العروس نفسها كانت تساعد فى ذلك . . « ولم يكونا يقتصران على فترة قصيرة ، بل كثيراً ما أنجب الزوجان أولاداً قبل أن يتردد الرجل على مخدع زوجته نهاراً » . . ومثل هذه اللقاءات لم تكن تعلمهما كبح النفس والاعتدال فى الشهوات فحسب ، بل انها كانت تساعد على اذكاء شوقهما ، وبالتالي على ممارسة اللقاء بكل قوة واستمتاع ، مما يساعد على انجاب أطفال أقوياء ، أصحاء !

موكب الزفاف وحملة المشاعل

● واذا كانت التقاليد السالفة متباينة من مكان الى آخر ، فان مادبة الزفاف كانت عادة عامة فى كل أرجاء اليونان . . وكان لكعب السمسّم مكانة خاصة فيها ، فكان يعهد الى صبي وسيم الخلقة أن يحمل كمية منه ويدور بها على الضيوف - وهو عارى الجسد ، مزدان بالاشواك وأوراق

شجر البلوط - مرددا : « لقد تجنبت الاثم ، ووجدت ما هو احسن » !

وبعد الاكل وشرب الانخاب ، كانت العروس تحمل الى بيت عريسها في مركبة تجرها الثيران ، أو البغال ، أو الخيل . . وتجلس فيها بين العريس واصدق اصدقائه أو اعز قريب لديه . . وبعد بلوغها البيت ، كان محور عجلات المركبة يحرق احيانا ، لكي تجنبها الالهة اية رغبة في مبارحة بيت الزوجية ! . . اما اذا كانت العروس ارملة تتزوج للمرة الثانية ، فكان العريس يبقى في بيته ، بينما يرافقها اليه واحد من اخلص اصدقائه أو اقربائه .

وكانت المشاعل عنصرا لا غنى عنه في مواكب العرس ، تشعلها والدتا العروس والعريس ، ويحملها افراد يرافقون العربة على اقدامهم . . وكان ثوب العروس يصنع من قماش مزركش بالالوان ، في حين أن ثوب العريس كان يتخذ من اعلى انواع الصبوف الابيض . . وكذلك كانت اثواب مرافقي الموكب . وكان العروسان يتوجان بتاجين مزخرفين وملونين . . وتضمخ العروس بالعطور ، ويرفرف فوق رأسها وشاح احمر اللون . .

وبينما يردد مرافقو الموكب نشيد الزفاف ، يستقبل الناس العروسين في الطرقات التي يجتازها الموكب - بالتهاني وامارات الاغتباط . . ويحيط الشباب بالموكب وهم يرقصون على انغام القيثارات والمزامير .

ليلة الزفاف . . ومخدع العروسين

● وكان الشباب والشابات يتنافسون لاعداد مخدع العروسين وتزيينه بالازهار ، في احتفال يريد من اهتمام القوم به ، انهم كانوا يعتقدون أن ربة الحب تهبط بنفسها - وهي

تتألق جمالا وبهاء - لتأمل حسن العروس ، وما للعريس من نضارة . فكان أصدقاء العريس ، وصديقات العروس ، يجتمعون فى بيت العريس ، وينهمكون فى أعداد المخدع وأضفاء أبهى الزينات عليه . فاذا أقبل الليل ، احتفل المجتمعون بالمناسبة ، حول مأدبة حافلة . . حتى اذا لاح ضوء مشاغل موكب العرس ، انقسموا الى فريقين : فتيان وفتيات ، وأخذوا يتبارون فى الغناء لنجم الحب الوداع « هسبيروس » وتبدأ الفتيات ، مرددات : « يا هسبيروس ، أنت أسوأ النجوم الالامعة فى السماء . . أنت تسرق كل ما لا تحيطه الرعاية العاشقة بحمايتها ، لذلك فان الحب يصبح يقظا وعلى حذر ، كلما أشرقت أنت . . »

.. ويتحصدهن الفتيان ، فيمجدون النجم : « هسبيروس ، يا أجمل النجوم الالامعة طرا ، يا من تجلب كل ما كان الفجر قد أقصاه ، تجلب الشاة وتجلب الماعز ، وتجلب الابن الى أمه ، وتجلب الفتاة الى الرجل . صحيح ان كل فتاة تقول : « سابقى دائما عنراء » ، ولكنها تفكر فى نفسها : أوأه ، ليتنى أصبح زوجة صغيرة ! »

ويتراشق الشبان والفتيات بالأشعار والأغاني . . تعير الفتيات الرجال بأن الزوجات لا يجدن فى كنفهم سوى المتاعب النفسية وأعباء المسئوليات . . بينما يصف الشبان مدى حظ المرأة التى تتزوج ، فتجد فى زوجها العائل والمعين . . « فالكرم لا يثمر ما لم يحدث اللقاح . . وتعسا للعدراء التى لم تشعر يوما بلمسة العاشق ، فهى كالكرم المحروم » . ولا يلبث العريس والعروس أن يتقدما الى القاعة المتألقة الأضواء ، فتنتطلق من جميع الحناجر الهتافات : « مرحى للعروس . . مرحى للعريس ! » . . ثم يعود الشبان والشابات الى تطارح الشعر والأغاني . وفى هذه المرة ، يطرى الشبان

جمال العروس ويمتدحون حسنها وعفتها . . وتتغنى الفتيات
بنضارة شباب العريس ومحاسنه .

العروسان في ((ليلة الاسرار))

● ويظل الغناء والرقص الى ساعة متأخرة من الليل ،
ثم ينهض العريس فجأة ، فيحتضن العروس وهي تقاوم في
استحياء ، ويحملها بين ذراعيه - على سنن التقاليد البطولية
- ويهرع الى المخدع ، يتبعه اخلص اصدقائه ليحتمي باب
المخدع من العذارى اللائى يحاولن استرداد واحدة منهن ،
هى العروس . . وما أن يدخل العريس المخدع بعروسه ، حتى
يوصد الباب بالرتاج ، ويهتف ساخرا بالفتيات : « أرجعن ،
فما اكثر الفتيات ! » . . ولكنهن اذ يقتنعن بعدم جدوى
اقتحام الباب والتغلب على الحارس ، يشرعن - وسط
الضحك والصخب - فى أغنية حجرة الزفاف ، التى تتضمن
معانى من هذا القبيل :

((ماذا يا عريس ، هكذا مبكرا تنام ؟ . . اترك اشتقت
الى وسادتك ، أو أنك افطمت فى الشراب ؟
(إذا كنت تستسلم للنعاس مبكرا ، فمن الخير أن تنام
وحيث . . وإن تترك الغدراء مع العذارى ، تاوى الى جانب
امها الحنون حتى الفجر !

((تحت غطاء واحد ترقد معك ابنة ((زيوس العظيم)) وقد
اصبحت سيئة لا تقع العين لها على نظير . . .))
وتطول الأغنية ، وتنطلق لجوس مجالات كثيرة ، ثم تنتهى
بحديث طويل الى الغدراء التى أصبحت زوجة ، يحثتها
فيه على اغراء العريس ، كما فعلت « هيلين » فاتنة الابطال
. . وأخيرا :

((فوداعا يا عروس ، ووداعا يا عريس . . ولتبهما
يا ((ليثو)) اطفالا كما تشاء . .

« ولتهبهما » (سيبريس) حبا متعادلا متبادلا . . وليهبهما
 « زيوس » الرخاء . .
 « ناما واستريحا . . وعلى اى الصدرين فلتتراقص انفاس
 الحب . .
 « ناما الآن ، ولكن اذا ما طلع النهار ، فلا تنسيا ان تهبا
 من الرقاد . .
 « الاننا سناتيكما مع الفجر . . وبمجرد أن يرفع ديك
 عقيرته بالانشاد » .

على أنه لا بد لأحدى ليالى العمر - « ليلة الأسرار » كما
 كان الاغريق يسمونها - من نهاية ، فليس الهناء المقيم من
 حظ البشر فى دنيا الفناء . . ومع مطلع اليوم التالى ، يستيقظ
 العروسان على الموسيقى والأغاني وهتافات الأهل والأصدقاء
 وهداياهم . . وفى ذلك اليوم ، تقام مأدبة كبيرة فى بيت والد
 العريس ، تمتاز بأنه ما من امرأة - حتى العروس - تحضرها !

المرأة فى البيت بعد الزواج

● وتبقى الزوجة بعد ذلك فى « الحریم » ، ولا تكون هناك
 حجرات مشتركة بين الزوجين ، عدا حجرة النوم ، وحجرة
 المائدة - مالم يستضيف الزوج أحدا - فقد كانت عادة الزوجة
 الاغريقية الا تحضر المآدب التى تقام فى بيتها ، والا اعتبرت
 « غانية » او « جليسة » ! . .

وليس معنى هذا ، ان المرأة الاغريقية كانت مهيضة
 المكانة ، مقضيا عليها بملازمة المطبخ ، ورقابة الأعمال المنزلية
 . . بل يكفى لادراك مدى تقدير الاغريق لها ، ما ورد على
 لسان أحد أبطال المسرحيات القديمة : « ان الله يتجلى لنا فى
 الأم ، أكثر مما يكشف عن نفسه فى أى شىء آخر » . وبرغم
 هذه العزلة الظاهرية ، فقد كانت هناك ثلاثة عوامل تساعد
 المرأة - فى ازهى العهود الاغريقية - على أن تحظى بتفوق مادي

وأدبى على الرجل : التفوق العقلي في بعض الأحيان ، والنزوع الفطري الى النفوذ متحالفا مع ما لطبيعة المرأة من رقة ولطف ، و . . . الدوطة الكبيرة .

وكان بوسعنا أن نضرب مثلا بـ « اكسانثيب » زوجة « سقراط » ، لولا أن الأساطير والحكايات ظلمتها ، إذ أنها كانت زوجة رائعة ، لم تتجاوز قط الحدود المعينة للمرأة . . . على أن هناك « اومفيل » - ملكة لبيديا - التي أوسعت « هرقل » اذلالا ، وهو أعظم وأمجد الأبطال . . . فاضطرته الى ارتداء ثياب النساء ، وأن يجلس عند قدميها يمارس اشغال النساء ، بينما كانت هي - الملكة - ترتدى جلد أسد ، وتطوح بهراوة ضخمة في الهواء ، فوق رأس البطل الذليل . . . وتضع قدمها - الفاتية في نعلها « الشبشب » - فوق عنقه . ومن ثم أصبح « الشبشب » رمزا للوضع المشين للزوج الذي يخضع لزوجته ، كما أصبح أداة للزوجات الشرسات . . . لتأديب أزواجهن !

ولسنا نجد في تراث الاغريق ما يبرر اللوم والتشريب ، على رجل مل رتبة الحياة الزوجية ، فأخذ ينشد التغيير بين احضان امرأة ذات ذكاء وثقافة ، أو في مداعبات صبي أو غلام . . . ذلك لأن الاغريق - في تلك العصور - لم يكونوا يتصورون أن مجرد الزواج معناه الحرمان من الاستمتاع بالجمال ، ولا كانت أبة زوجة ترتقب هذا من زوجها . . . وأن كان بين الفلاسفة والمصلحين ، فئة قليلة العدد جدا ، طالبت بالمساواة بين الزوجين أمام القوانين الأخلاقية - مثل « ايسوقراط » - كما طالب « أريستوطاليس » بحرمان الرجل من حقوقه المدنية « إذا ضبط وهو يجامع امرأة غير زوجته ، أو رجلا » . . . على أن هؤلاء الدعاة كانوا قلة ، فلم تخرج دعواتهم الى حيز التنفيذ .

وفي العدد القادم حلقة جديدة من هذه الدراسة المتعة



دراسة وطنية



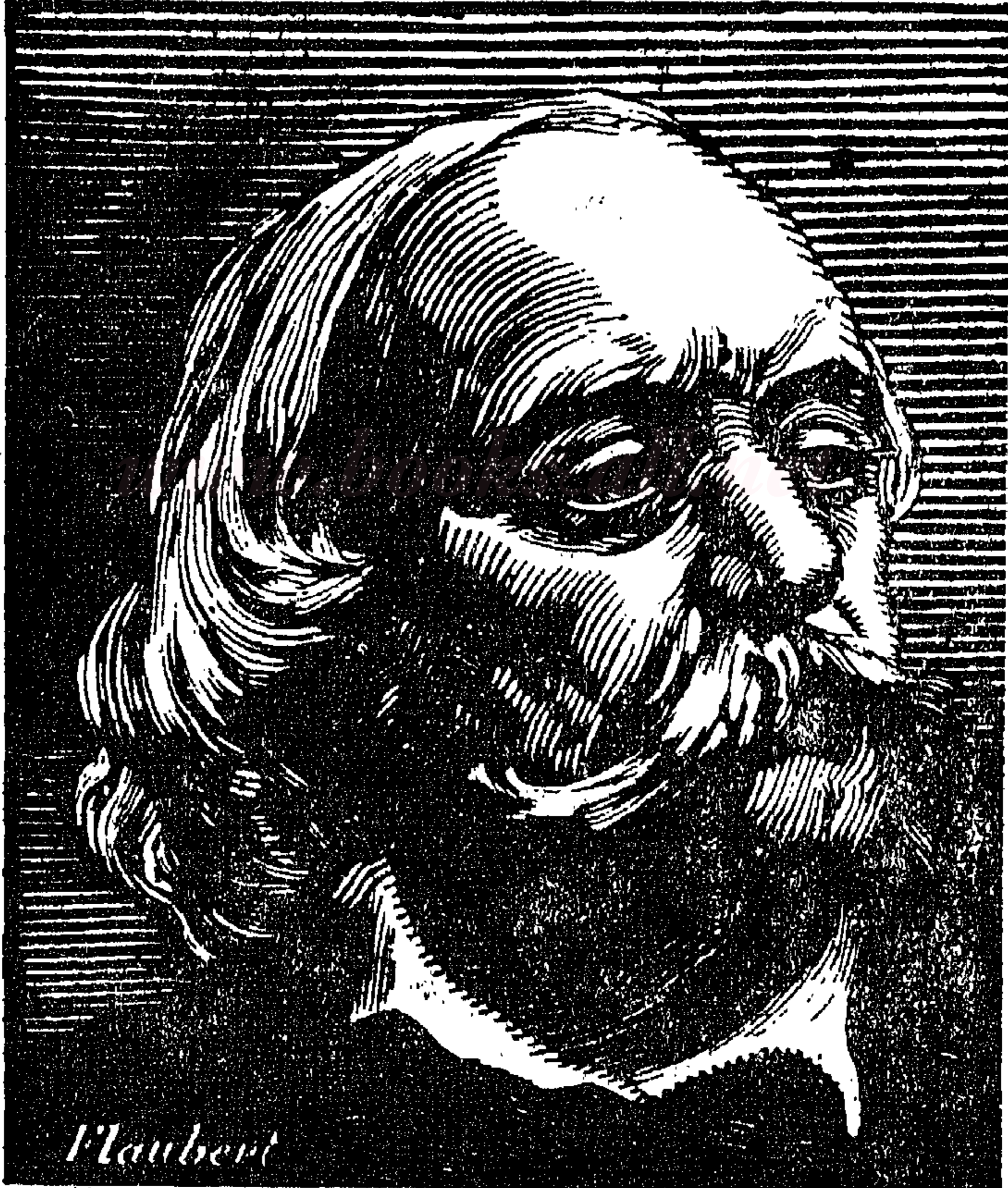
أضواء جديدة على شخصية مؤلف (مدام بوفارى)

استطاع ((كتابى)) أن يحصل على صفحات مجهولة من حياة الأديب الفرنسى الكبير ((جوستاف فلوير)) ، مؤلف الروائع الأدبية التى خللت اسمه بين أعظم أدباء القرن التاسع عشر ، وفى مقدمتها (مدام بوفارى) ، التى قدمت ((مطبوعات كتابى)) ترجمة أمينة كاملة لها ، فى عديدها : ١٠ ، ٩ .

ومن هذه الصفحات المجهولة التى عشر عليها (كتابى) فى أحد الكتب النادرة ، اخترنا لك - فيما يلى - ما تعلق برحلة قام بها ((فلوير)) الى مصر ، منذ ١٢٠ سنة ، أى فى سنة ١٨٤٩ على التحديد . . . وهى صفحات تضمنت رسائل الى امه واصدقائه ضمنها أدق الأوصاف للمغامرات والمشاهدات والانطباعات التى مرت به فى الرحلة التى طاف خلالها بأرجاء مصر حتى اقاصى الصعيد ، وصور بيزامة ورشاقة ما كانت عليه الحياة - اذ ذاك - فى هذه البلاد التى طالما حلم بزيارتها . . . وتتخلل الرسائل بعض صفحات من مذكرات ((فلوير)) - أثناء الرحلة - وما كتب زميله فيها ((مكسيم نوكان)) ، فى كتابيه ((ذكريات أدبية)) و ((النيل ومصر والنوبة)) . . . فتعال فمضى نعيش مع ((فلوير)) فى : بولاق ، والإسكندرية ، ورشيد ، وفى السفينة النيلية التى حملته الى الصعيد . . . ثم نصاحبه فى مغامراته الفرامية مع ((الفوازى)) ونساء الهوى : مع ((كوجك هالم)) فى (اسنا) ، ومع الراقصة التى قضى ليلة فى مخدعها بأحد شوارع القاهرة الجانبية . . الخ . ولنبدأ مع الرحلة من أولها : منذ قضى أياما قبل السفر مشغولا من وداع امه - التى كان تطلقه بها ((مرضيا)) - حتى أرسلها الى اسرتها فى (نوجان) ، لتقوى على فراقه ، ولينتزع نفسه من حنانها الغامر ، فبدأ رحلته باكيا فى ٢٥ أكتوبر عام ١٨٤٩ :

فلوثير... في مصر!

صفحات متادرة من مذكرات الأديب الفرنسي الكبير
عن رحلته الطويلة في ربوع مصر، منذ ١٢٠ سنة



بقلم : حلمي مراد

لوعته لفراق أمه ، في بداية الرحلة !

كان ذلك اليوم (الخميس ٢٥ أكتوبر) يوما فظيما . .
أسوأ يوم مر بي . ولم يكن مقرورا أن يكون رحيلى قبل بعد
الغد ، ولكنى صممت على السفر فوراً ، وحددت الساعة
الخامسة موعدا لانطلاقى ، ولكن الساعة بدت وكأنها توقفت
عن السير . ووضعت قبعتى فى قاعة الجلوس ، بينما أرسلت
حقيبتى الى المحطة لتسبقنى . .

وتأهبت للرحيل . . كانت أمى جالسة فى مقعد كبير بجوار
المدفأة . . وفى غمرة تدليلى أياها وحديثى معها ، قبلت
جيبئها فجأة ، واندفعت مغادرا الحجرة ، ثم تناولت قبعتى ،
وأسرعت أيارح البيت . . ولكم صاحت معولة وأنا أغلق باب
حجرة الجلوس ورائى . . لقد ذكرتنى ساعتئذ بصراجها يوم
أمسكت يدى أبى فوجدته قد فارق الحياة !

كانت عينى جافتين . . ولم يساورنى أى انفعال ،
اللهم الا شئ من الاضطراب العصبى ، ونوع من الغضب . .
وفى مدخل المحطة ، صادفت قسا وأربع راهبات . .
قال نبيى : . . وكان ثمة كلب يعوى بنواح كئيب ، على
مقربة من البيت ، طيلة الاصيل . . لكم أحسد أولئك الاقوياء
الاعصاب ، غير المتطرين ، الذين لا ينتبهون لامور كهله ، فى
مثل هذه اللحظات !

وبينما كنت مع خالى « باران » ، فى قاعة الانتظار
بالمحطة ، ظهرت الخادم « أوجينى » فجأة ، وهتفت به
وعبراتها تنهمر : « ان منام فلوير تريدك يا مسيو باران . .
لقد انتابتها هستيريا ! » . . وهزع خالى اليها . . ولم تمض
لحظات ، حتى وصل القطار ، فركبته . . فى طريقى الى
الشرق البعيد ، الذى طالما حلمت به !

من نوجان الى باريس : يا لها من رحلة ! . . كنت بمفردى

في المقصورة ، فأغلقت النوافذ ، ورفعت منديلى الى فمى ،
ورحت أبكى . . وأعادنى صوت نشيجى الى الصواب ، بعد
قليل . ولكن الشهقات ما لبثت أن عاودتنى من جديد ، الى
أن شعرت بدوار اثار خوفى ، فأخذت أهديء نفسى . .
في هونترو : دخلت مطعم المحطة ، فتناولت ثلاث أو أربع
كؤوس من « الروم » ، لا لأحاول النسيان ، وإنما لمجرد أن
أفعل شيئاً . . أى شيء !

ثم اتخذ شقائى شكلا آخر ، فخامرتنى فكرة العودة
من حيث أتيت ! (. . وكنت فى كل محطة أوشك أن اغادر
القطار ، ولكن خوفى من أن أكون جباناً منعنى من ذلك) . .
الوصول الى باريس : كان لزاماً أن أحزم أمرى قبل أن
أصل الى بيت صديقى « مكسيم جنوكان » . . ولم أجده فى
البيت ، ولكنى وجدت خادمه . . وعاد « مكسيم » فى منتصف
الليل ، وكنت أحس بخور العزيمه ، والتردد ، فقال أن الاختيار
متروك لى . . وقررت - فى النهاية - ألا أعود الى (نوجان)
. . وفى الساعة الواحدة صباحاً - بعد ساعات من اللوعة
والبكاء اللذين لم يسبب لى مثلهما أى فراق من قبل - كتبت
رسالة الى أمى . .

وعشت اليومين التاليين فى لهو مفرط : مادب عشاء
هائلة ، وكميات من الخمر ، وزيارات للمواخير . . أن الملذات
الحسية ليست بمعزل يذكر عن الانفعالات ، وقد كانت
اعصابى المضناة فى حاجة الى استرخاء !

٨ خطابات الى امه . . فى اسبوع !

(من فلوير الى امه) : باريس فى ٢٦ أكتوبر ١٨٤٩

الساعة الواحدة صباحاً : لملك نائمة الآن يا حبيبتى
المنسكينة . لا بد أنك بكيت الليلة كثيراً ، كما بكيت انا . .

أخبريني عن حالك . لا تخفى عني شيئاً ، لأنني اذا قدر لي
أن أعرف - فيما بعد - ان رحلتى هذه كانت أكثر مما تتحملين
حقاً ، فسوف يجتاحني ندم رهيب .

ان « ماكس » عطوف جداً ، فلا داعي للخوفك . لقد
وجدت جوازات سفرنا جاهزة ، وكل شيء يسير على مايرام ،
وهذا قال طيب .



تمثال لوالدة فلوير « مدام اشيل كليوفاس
فلوير » كما بدت في « قناع الموت »

وداعا .. هذه رسالتي الأولى ، وسوف تتبعها رسائل
أخرى ، عما قريب . سأبعث اليك غدا بوحدة أطول .
وانت ؟ .. اكتبى لى مجلدات .. أفيضى فى رسائلك الى !
وداعا .. اننى أضحك الى أحضانى ، وقلبى يمتلىء بك ..
ألف قبلة .

كان حبا عجيبا بين « فلوير » وامه .. ولم تنقض سويعات على الرسالة
السالفة ، حتى كتب لها رسالة ثانية .. وتوالت خطباته حتى بلغت
ثمانية ، منذ وصوله الى باريس حتى صعوده الى السفينة فى (مرسيليا)
.. ومما جاء فى رسالته الثانية الى امه :

« انقضى يوم يا حبيبتي البائسة ، لعله أسوأ الأيام ..
اننى لا أنفك أتمثل وجهك الحبيب الحزين .. ان « ماكس »
مثال الكرم والعطف ، حتى انه عرض أن يدبر لى السفر
بالقطار اذا ارتأيت العودة الى (نوجان) . ونحن متفاهمان
على ان أعود بمجرد مشاهدتنا مصر ، اذا لم تكن بخير ، أو اذا
شعرت بأننى لا أطيق البقاء بعيدا عنك ، أو اذا أنت دعوتنى
للعودة . فلا تعذبى نفسك ، ولا تخافى ، اذ اننى أشعر بأن
الحنين للعودة اليك سيدلل لى كل شيء . أواه ! لكم سأضحك
فى أحضانى ، عند عودتى ، يا حبيبتي ! »

وبرغم ما تصوره رسائله من فرط حبه لامه ، وشدة اساه لفراقها ،
فان صديقه - وزميله فى الرحلة - « مكسيم دوكان » يمدنا بصورة ابلغ ،
فى هذه الصفحات من كتابه (ذكريات أدبية) :

الرحلة الى مصر

عند عودتى فى تلك الليلة - ٢٦ أكتوبر - أبلغنى خادمى
ان فلوير جاء خلال فترة غيابى خارج البيت .. فلما دخلت
غرفة مكتبى ، لم أره لأول وهلة ، ثم تبينته - بعد برهة -
مستلقيا بطوله فوق جلد دب أسود ، أمام خزانة للكتب ..

وخلته نائما ، ولكنى سمعته يتنهد . لم اكن رايت قط انسانا مستلقيا بجسمه المديد على هذه الصورة ، لا سيما انه ضخيم الجسم ، قوى البنية . واذ سألته ، قال بلهجة باكية : « لن يقدر لى أن أرى أمى أو وطنى ثانية . فهذه الرحلة طويلة كل الطول ، بعيدة كل البعد . يا للجنون ! لماذا تقوم بها ؟ ! »

وشعرت باستياء . وأخبرنى بأنه ترك حجرة مكتبه فى (كرواسيه) ، تماما كما لو كان عائدا اليها فى اليوم التالى : على المكتب كتاب مفتوح عند آخر صفحة قرأها ، وعلى المقعد رداء الحجرة ، وبقرب الأريكة نعلاه !

وهيات له - فى تلك الليلة - كل ما يشفيه من هذه الحال من التردد والتعاس ، ولكنى فى الصباح التالى دخلت عليه حجرته قبل أن يبزح الفراش ، وقلت له : « ليس هناك ما يلزمك بالرحيل معى . فاذا كنت ترى أن الرحلة أكثر مما تطيق ، فعليك أن تتخلى عنها . وسأرحل وحدى » . ولم يدم صراعه لنفسه طويلا ، بل صاح : « كلا .. سأكون مدعاة للسخرية الى درجة لا أجسر معها على تأمل وجهى فى المرأة ثانية ! »

وفى الثامن والعشرين من أكتوبر ، أقمنا مأدبة عشاء للوداع ، فى احدى الحجرات الخاصة بمطعم « الاخوة الثلاثة الريفيين » فى حى (باليه رويال) ، جمعتنا - انا وفلوير - بتيوفيل جوتيه ، ولوى دى كورمنان ، وبوييه . وأمضينا المساء فى حديث عن الفن والأدب والعالم القديم . واستخف الحماس ((فلوير)) فتحدث عن اكتشاف منابع النيل ، بينما راح ((جوتيه)) يحثنى على اعتناق الدين الإسلامى ، ويمنيئى بتقبيل الحجر الأسود فى مكة ، وبارتداء الثياب الحريرية . أما ((لوى دى كورمنان)) فكان مكتئبا لرحيلى . . وراح

« بوييه » يقرض طرف سيجاره في سكون ، بعد أن طلب منا أن نذكره حين نقف أمام آثار كليوباترا !

ثم بدانا رحلتنا من باريس الى مارسيليا ، وكانت طويلة - اذ لم يكن لقطار « الاكسبريس » وجود في تلك الايام - وفي اليوم التالي ركبنا عربة البريد ، ثم الباخرة من (شالون) الى (ليون) ، ثم استقلنا سفينة (الرون) حتى (فالنسيا) ، حيث توقفنا بسبب الضباب . ومن هناك ركبنا عربة الى (اثنينيون) . . . واخيرا اخذنا القطار الى (مارسيليا) في اليوم الاول من نوفمبر .

وفي الرابع من الشهر - وكان يوما رديء الجو ، ملبد الفيوم - صعدنا الى السفينة « النيل » ، وهي سفينة تجارية قوتها ٢٥٠ حصانا ، كانت تهتز كأنها شخص ثمل ، وهي تمضي ببطء الى الامام .

ولا أستطيع أن أقول ان « فلوير » لم يعد الى اكتتابه ، فقد وقف طويلا منحنيا على أحد حواجز السفينة ، يحدق في ساحل (بروفانس) وهو يختفي ويبدأ وسط الضباب . . . وبعد أحد عشر يوما من الرياح والأمواج العالية ، لمحنا شاطئ مصر . . .

من فلوير الى امه

مالطة - من على ظهر السفينة « النيل »

ليلة الأربعاء - الخميس : ٧ - ٨ نوفمبر ١٨٤٩

... كان وجه « مكسيم » من أكثر الوجوه مدعاة للضحك ! . . لم يكن - الفتى المسكين - يتوقع أن يكون هو المريض ، فعهد بي الى رعاية طبيب السفينة ، مع أنني لم أشعر قط بلحظة تعب واحدة ، في حين أنه لم يتوقف عن المغانة لحظة واحدة ! . .

وفي اليوم الخامس عشر من نوفمبر ، وصلا الى الاسكندرية .. ومن هناك ، كتب « فلوير » الى امه في ١٧ نوفمبر :
 « بينما كنا على مبحرة ساعتين من سناحل مصر ، توجهت نحو مقدمة السفينة مع ضابطها ، فرأيت « سراي » عباس باشا تبدو كقبة صماء فوق زرقة البحر الابيض المتوسط ، والشمس تصليها نارها ..

((كانت نظرتي الاولى الى الشرق ، من خلال ضوء متالق اشبه بفضة مذابة فوق سطح البحر .. وسرعان ما تجلى الشاطئ للأنظار ، فكان اول ما رايناه على اليابسة جولين يقودهما حاديهما ، ثم تراءى رصيف الميناء يعلوه بعض أعراب يصيدون السمك في هدوء ..

« وهبطنا الى البر وسط ضجيج لا يتصوره احد .. سمر وسمرجات ، ابل وعمائم ، هراوات تطيح يمينا ويسارا ، صيحات من الحناجر تمزق الأذان ، ألوان تفيض بفزارة وسخاء .. والضرب بالهراوات يلعب هنا دوزا كبيرا ، فكل ذى ثياب نظيفة ، يضرب كل ذى ثياب قذرة .. وعندنا أقول ثيابا ، فانما أعنى السراويل القصيرة .. وكم من سادة ترينهم يتسكعون في الشوارع ، وليس عليهم سوى أقمصة وسراويل طويلة ! .. وكل النساء محجبات - عدا أدنى الطبقات - وتتدلى من أنوفهن حلقات معدنية تهتز من جانب الى آخر .. انك لتجدين الحشمة تغير مواقعها ، كلما انتقلت من بلد الى آخر .. وكانها مسافر تملكه الملل فأخذ يتنقل من مقعد الى آخر في البركة !

« ومن أغرب الأمور هنا ، ذلك الاحترام - أو بالأحرى الهلع - الذي يظهره الجميع في حضرة « الافرنج » ، كما يسمون الأوربيين .. وتكاد الاسكندرية تكون مدينة أوربية ، تزخر بالانجليز والأوربيين وغيرهم .. وقد رأينا

بالأمس موكبا رائعا، احتفالاً بـ « ظهور » ابن لأحد التجار الأغنياء . كما رأينا في الصباح مسلتى كليوباترا (وهما مسلتان هائلتان على شاطئ البحر) ، وسنرحل غدا إلى رشيد ، ونعود خلال ثلاثة أيام أو أربعة . . . اننا نظوف ببطء - دون ارهاق - ونعيش بتعقل ، وترتدى ثيابا من « الفانيلا » برغم أن الحرارة داخل المباني تصل إلى ٣٠ درجة أحيانا . . . أما الرمذ فلا يتفشي إلا بين الذين يعيشون في أزرى الظروف . . . ومن ثم فلا تخافى يا أماه ، وتجلدى ، فسأعود في خير حال » .

وعاد « فلوير » يكتب إلى أمه من الاسكندرية ، في ٢٣ نوفمبر ، يصف الرحلة إلى رشيد :

« انطلقنا في فجر يوم الأحد الماضي ، على صهوات جيانا ، في ثياب الركوب وقد حملنا الأسلحة ، بصحبنا أربعة رجال يعدون وراءنا ، و « ترجمان » يمتطى بغلة ويحمل معاطفنا وزادنا . ان الصحراء تبدأ عند أبواب الاسكندرية مباشرة : تلال صغيرة من الرمال هنا وهناك - في البداية - تكسوها اشجار النخيل ، ثم تمتد الكثبان التي ما لا نهاية . . . « وفي مكان يدعى (ادكو) - ستجدينه على خريطةك - ركبنا « معدية » . . . »

« وفي السادسة مساء - بعد غروب جميل بدت فيه السماء كطلاء أحمر مذاب ، ورمال الصحراء كالحبر - وصلنا إلى (رشيد) ، فاذا كل أبوابها مغلقة ، ولكنها فتحت بمجرد سماع اسم حاكم المدينة « سليمان باشا » . . . « وكانت الشوارع مظلمة ، ضيقة لا تكاد تسمح بمرور أكثر من رجل واحد فوق جواده . واخترقنا الأسواق ، فاذا كل حائوت مضاء بمصباح زيتى من الزجاج ، يتدلى بحبل . . . حتى وصلنا إلى الثكنات . . . »

واستقبلنا الباشا (سليمان باشا) وهو قابع على أريكته يحيط به رجال سود أحضروا لنا القهوة والغلايين .. وبعد مديد من التحيات والمجاملات ، قدموا لنا العشاء ، ثم صخبونا الى الأسرة التي سنام عليها ، وكانت مجهزة « بناموسيات » ممتازة .

« وفي الصباح التالي ، جاء « الباشا » الى غرفتنا ونحن نغتسل ، يتبعه طبيب الفرقة .. وهو ايطالي يتحدث الفرنسية بطلاقة ، وقد قدم لنا تحية المدينة ، وأمضينا بفضله يوما مهتما جدا . وعندما عرف اسمي ، وعلم بانني ابن طبيب ، قال انه سمع عن أبي .. وقد أحسست ببعض الارتياح يا أمي العزيزة ، عندما رأيت ان ذكرى أبي مازالت تفيديني وترعاني على هذا البعد !

« أجل يا عزيزتي المسكينة .. اننى أفكر فيكما معا باستمرار . وفي الوقت الذي يمضى فيه جسمي في رحلته ، تظل أفكارى تلتفت الى الوراء ، وتدفن نفسها في أيام مضت .. »

من مذكرات « فلوير » خلال الرحلة

ليلتنا الأولى على النيل : أشعر بارتياح واحساس شاعري ، حتى اننى أردت أبياتا من شعر « بويه » ، ولا أستطيع أن آوى الى فراشي ، فأظل أفكر في « كيوباترا » ! ان الماء أصفر وقرانق ، والنجوم في السماء قليلة . لقد لففت نفسي جيدا في عباءتي . واستفرقت في النوم على فراشي الصغير فوق المركب ..

استيقظت قبل « مكسيم » ، فلما استيقظ ، مد يده اليسرى - بطريقة لا شعورية - ليطمئن الى وجودي . كانت الصحراء تمتد على أحد جانبي النهر ، بينما تكسو الجانب الآخر مروج خضراء ، تشبه من بعيد - بما

يتخللها من أشجار الجميز - سهول نورماندى التى تزخر بأشجار التفاح . . والصحراء رمادية مشوبة بحمرة . . لقد بدأ أمامنا هرمان ، ثم تلاهما هرم أصفر حجما . . وإلى يسارنا ظهرت القاهرة قابضة فوق تل ، وقبة مسجد محمد على ، تمتد وراءها تلال المقطم الجرداء . .

وصلنا إلى بولاق . . هرج وارتباك عند الهبوط إلى الأرض ، ولكن الضرب بالهراوات أقل منه فى الإسكندرية قليلا . . ومن بولاق إلى القاهرة ، يمتد طريق على نوع من الجسور تحف به أشجار السنط ، حتى وصلنا إلى الأزبكية . . مناظر طبيعية رائعة . . أشجار . . خضرة !

حجزنا غرقا لنا فى فندق الشرق (لوريان) .

ومن القاهرة ، كتب فلوير إلى أمه مزيجا من الأحاديث عن رحلته ، وعن صحته ، وثيابه ، وعن الفوارق بين عاصمتى مصر ، التى قال فى وصفها « ان الاشتراكية ليست قريبة منها » . . وكانت نبوءته قبل قيام الاشتراكية فى مصر بقرن وأعوام لا تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة . . قال :

القاهرة فى ٢ ديسمبر ١٨٤٩ :

ها نحن أولاء فى القاهرة يا حبيبتى المسكينة ، حيث سنبقى على الأرجح طوال شهر ديسمبر . . إلى أن يعود الحجاج من مكة ، بعد ما يزيد قليلا على ثلاثة أسابيع . سنهتم بزيارة القاهرة بعناية ، وسنحمل أنفسنا على أن نسجل شيئا كل مساء . .

وحوالى أول يناير ، سنستقل سفينة نيلية وننطلق إلى أعلى النهر لمدة ستة أسابيع ، ثم نرتد إلى أسفله ، ونعود إلى هنا بعد ذلك . ان الرحلة إلى أعالي مصر مسيرة تماما ، خالية من أى خطر ، لا سيما فى هذا الفصل من السنة ، عندما لا تكون الحرارة شديدة .

وإذا أردت معرفة ما أرتديه هذه الأيام يا حبيبتى



مكسيم دوكان ، صديق « فلوير » الحميم ، ورفيقه في رحلته الطويلة الى مصر ، عام ١٨٤٩ (منذ ١٢٠ سنة)

المسكينة ، فاعلمى اننى ارتدى حزاما من ((الفانيلا)) حول جسمى ، وقميصا وثيابا داخلية من ((الفانيلا)) ، وبنطلونا سميكا ، وصدارا دافئا ، ووشاحا كبيرا حول العنق . . فضلا عن معطف . وفوق هذا ، اضع تحت طربوشى الاحمر طاقتين بيضاوين كل صباح ومساء .

ان الشرق يبدأ من القاهرة ، اذ ان الاسكندرية تزخر بالأوربيين الذين لا يحتفظون لها بطابع محلى بحت . . هنا لا تجد من القبعات غير القليل . . اننا نطوف بالأسواق والمقاهى والمساجد ، ونرى المهرجين . . وهم أولئك المثلون الهزليون المتجولون ، الذين يتمتعون بمواهب كبيرة ، ولكن فكاهاتهم تتخطى الأدب . .

ومن أوائل زيارتنا ، زيارة لسوق العبيد . . اى احتقار للجسم البشرى ! . . ان الاشتراكية ليست قريبة فى مصر ا لكم يستغرقنى الاعجاب بالجمال التى تجتاز الشوارع باستمرار ، وترقد بين الحوانيت فى الأسواق !

وكان فلوير يسجل فى مذكراته مايكتبه لاه ، وفى هذه الصفحة يروى قصة مغامرة نسائية رخيصة فى القاهرة :

مغامرة نسائية . فى القاهرة !

فى بيت بشارع صغير خلف فندق (لوريان) ، اصطحبونا الى غرفة كبيرة فى طابق علوى . . كانت تبرز منه - فوق الشارع - مقصورات تتخلل كل جانب منها نوافذ صغيرة لا يمكن اغلاقها . وفى مواجهة المقصورة نافذة كبيرة دون اطار أو زجاج ، تتراءى خلالها نخلة . . وعلى أريكة كبيرة الى اليسار ، تربعت امرأتان ، بينما وضعت زجاجة من « العرقى » ومصباح فوق شئ يشبه رف المدفأة .

ونزلت أولى المرأتين . . « لاتريستينا » . . كانت صغيرة الحجم ، شقراء ، ذات وجه احمر ، وشفتين غليظتين ، وانف

افطس .. وكانت مرحة ، بهيمية ! .. أما الثانية فكانت ذات عنين سوداوين واسعتين ، وأنف مستقيم ، يبدو عليها الضيق والاكتئاب ، لعلها كانت عشيقة واحد من الأوربيين .. كانت تفهم كلمتين أو ثلاثا من الفرنسية !

وكانت « لاتريستينا » شديدة الخوف من البوليس ، وقد توسلت اليها الانصت اي صخب ، فلن الوالى عباس باشا يفسرو على النساء ، لانه مولع بالرجال !

وكان الرقص والموسيقى محرمين في هذا البيت ، ومع ذلك فقد نظرت « لاتريستينا » على المائدة باصابعها ، بينما رقصت الأخرى بعد أن احاطت الجزء الأسفل من رديفها بوشاح .. أدت رقصة سكونرية ، كانت ترفع خلالها يديها الى جبينها بالتناوب .. ثم رقصة أخرى بسطت فيها ذراعيها الى الأمام - واحداهما أعلى قليلا من الأخرى - وظل جنعها بلا حراك ، بينما اخذ رديفها يرتعشان !

وكان لابد من انتزاع عدد من القطط الصغيرة من الفراش .. ولم تخلع « هاديلنى » - وهو اسم المرأة الثانية - سترتها ، واقهنتنى بالإشارات أنها تعاني ألما في صدرها .. وفيما كانت تتقدمنى ، استمتعت بسماع حفيف ثيابها ، ورنين العملات الذهبية التى تزين شعرها .. جسم سايم ، وقسماته واضحة ، فى ضوء القمر .. وكانت تحمل مشعلا ! .. وفى الفراش ، كان جسمها بدينا فى غير ترهل ، أسمر ، خاليا من الشعر والشخم .. ثم ساعدتنى على ارتداء ثيابى ، ولم أفهم كلماتها الغربية إذ راحت تسألنى وترقب الاجابة .. وخيل الى أن عينيها تفوضان فى عينى ، وعينى تفوضان فى عينيها ، وقد تضاعف تركيز نظراتها .. وتولى جوزيف (الترجمان) الشرح .. كانت عملية جنسية بمسونة مترجم !

ويعود « فلوير » في الصفحة التالية من مذكراته خلال الرحلة ، فيصف طوافه بأهم معالم القاهرة التاريخية :

الأهرام : انطلقنا عند الظهر . من يوم الجمعة . . « مكسيم » على جواد أبيض لم يكف عن أن يهز رأسه ، و « ساسيتي » - خادم مكسيم - على جواد أبيض كذلك ، وأنا على فرس سمراء ، وجوزيف (الترجمان) على حمار . . وعند الجيزة ، رأينا مرجا شاسعا ، شديد الخضرة ، يمتد أمامنا ، تتخلله مربعات من التربة السوداء ، هي القطع التي حرثت حديثا وانحسر عنها الفيضان . . وهنا وهناك ، كان بعض الجاموس يرعى . . ومن آن الى آخر ، كانت خيولنا تغوص في جداول موحلة ، نضب ماؤها . . ولا نلبث أن نخوض بركا أو جداول مائية .

وبلغنا حافة الصحراء تقريبا ، حوالي الساعة الثالثة والنصف ، فاذا بالأهرام تنتصب أمامنا شاهقة . ولم أعد أملك زمام نفسي ، فدفعت مهناتزي في بطن جوادى ، فانطلق راكضا ، وهو ينثر ماء المستنقع . . وحذا « مكسيم » حذوى بعد دقيقتين . . كان سباقا عنيفا . واخذت أصرخ بالرغم منى ، ونحن نصعد المرتفع مسرعين الى « أبى الهول » ، تحف بنا سحب من الرمال . . وتبعنا مرافقونا من الأعراب فترة ، وهم يصيخون ويشهقون . . واخذ « أبو الهول » يكبر رويدا ، ولاح أنه ينهض من الأرض ككلب يرفع جسمه على ذراعية . .

مشهد أبى الهول : أبو الهول أى أبو الرعب . الرمال ، الأهرامات الثلاثة : كلها سمراء اللون ، تسبح في ضوء وردى . . والسماء صافية الزرقة ، والنسور تحوم ببطء فوق قمم الأهرام .

وتوقفت أمام أبى الهول . لقد بدا وكأنه يحدجنا بنظرة مروعة ، فشحب وجه « مكسيم » تماما ، وخشيت أن أروح في غيبوبة ، فحاولت التغلب على انفعالى . . وانطلقنا مبتعدين

بسرعة جنونية ، ثم درنا ببطء حول قاعدة الأهرام .. لقد
تأخر وصول أمتعتنا ، وأخذ الليل يرخى سدوله ..

.....

ثم نصبت الخيمة ، وقدم العشاء على ضوء مصباح صغير ،
يتدلى من عمود الخيمة .. وكانت بناقدنا مكومة بجوارنا
.. وجلس الأعراب حول النار ، أو ناموا تحت أغطيتهم في
حفر صنعوها في الرمال بأيديهم ، فبدأوا وكأنهم جثث هامدة
في أكفانها .. واستقرت في النوم داخل عباةتى ، وأنا أتأمل
كل هذه الأشياء ، بينما كان الأعراب يرددون أغانيهم الرتيبة
.. وأسمع أحدهم يروى حكاية .. هكذا حياة الصحراء !
في الساعة الثانية أيقظنا « جوزيف » ، معتقدا أن الفجر
قد بزغ ، غير أنها كانت مجرد سحابة بيضاء في الأفق المواجه
لنا . ودخنت غليونى على ضوء النجوم ، متطلعا الى السماء ،
وعواء ابن آوى يتردد !

استيقظت في الخامسة صباحا ، وكنت الأسبق ،
فاغتسلت أمام الخيمة في دلو من القماش السميك .. وكنا
نسمع عديدا من أبناء آوى تعوى .. وانطلقنا لتسلق
الهرم الأكبر ، الهرم الذى الى اليمين ، هرم خوفو .. كانت
الأحجار - التى لاحت من مسافة مائتى خطوة في حجم
أحجار رصف الطرق - كتلا ارتفاع كل منها ، بل ارتفاع
أصغرها ، ثلاث أقدام .. وتسلقنا عند الركن الأيسر ،
في مواجهة هرم خفرع .. كان الأعراب يرفعوننى ويسحبوننى
.. وأصابنى الإعياء بسرعة ، فهى محاولة مرهقة للغاية ..
لقد توقفت خمس مرات أو ستا في طريقى الى أعلى ، وسبقنى
« مكسيم » الذى بدأ التسلق قبلى .. وأخيرا وصلت الى
القمة .

وعلى جانب الهرم الذى غمرته أشعة الشمس البازغة ،
رأيت بطاقة مثبتة الى الصخر ، وقد كتب عليها : « همبرت

— مقال بياض « ! .. كان « مكسيم » في حالة يرثى لها ، حتى اوشكت أنفاسه أن تنقطع .. فقد سبقني الى التسلق ليقرأ هذه البطاقة ! ! .. وكم من أغبياء كتبوا أسماءهم في كل مكان : « بيفار — ٧٩ شارع سان مارتان — صانع ورق الجدران » .. وبحروف سوداء كتب أحد الإنجليز : « جيني ليند » .. كل الأسماء تقريبا حديثة ! .. وكان الهبوط سهلا عند الركن الآخر .

وبعد الإفطار زرنا جوف الهرم : ممر أملس مستو — أشبه بأنابيب المجارى — تهبط فيه لتجد ممر آخر ، يصعد الى أعلى .. وكنا ننزل فوق مخلفات الخفافيش . ويبدو أن هذين الممرين صنعا لتيسر سحب التوابيت الضخمة يبطء الى أماكنها .

وبينما كنا نخرج — زحفا على أيدينا وركبتنا — من أحد الممرات ، التقينا بجماعة من الإنجليز في طريقهم الى الداخل .. ولم تقتصر رسائل « فلوير » — خلال رحلته — على ما كتب لأمه ، فقد كان يكتب لأصدقائه من آن لآخر .. وهذه رسالة منه الى « لوى بوييه » :

القاهرة في نهاية ديسمبر ١٨٤٩ :

ثم بر بعد آية راقصة ، فهن جميعا مبعثات الى مصر العليا ، غير أننا رأينا رجالا يرقصون .. في أقصى قاعة المائدة بالفندق ، يعزف ثلاثة أو أربعة من الموسيقيين على أدوات غريبة — سنحضر بعضها عند عودتنا — بينما يمضي أحد السادة في استكمال عشائه ، وقد جلس بقيتنا على أريكة ندخن الغلابين .. أما الراقصان ، فتصور وغدين على درجة بالفة من البشاعة ، وان كانا فائنين في خلعتهم — وفجور نظراتهما ، وقد اتسمت حركاتهما بالأنوثة ، وكحلا عيونهما ، وارثا لزي النساء : سروالا فضفاضا ، وسترة مطرزة تصل الى حافة البطن ،

وحزاما عريضا من الكشمير - لتثبيت السروال - يلتف عدة طيات أسفل البطن . . أما البطن بالذات - وكذلك الخصر وقمة الردفين - فكلها تبدو عارية خلال قماش شفاف أسود يلتصق بالجلد ، ويتثنى - من لحظة لأخرى - في تموجات غامضة !

ولم تتغير الموسيقى ولا توقفت طوال ساعتين . . تاوهات الناي الحادة ، ودقات الطبول تكاد تحسها تدوى في صدرك ، وصوت المغنى يعلو على كل شيء . . والراقصان يقبلان ويدبران ، يهزان أردافهما بحركات قصيرة تشنجية ، وقد سكن باقي جسميهما ، أو يهزان صدريهما وبقية الجسم بلا حراك كذلك . . ويقتربان منك وأذرعهما مبسوطة ، وهما يدقان نوعا من الصنج المعدنية (الصاجات) ، ووجهاهما جامدان - تحت العرق والطلاء الأحمر - كوجهى تمثالين . . أعنى أنهما لا يتسمان قط !

وينشأ تأثير رقصهما من المفارقة بين رزانة الرأس وحركات الجسد الداعرة . . وكأننا - في بعض الأحيان - يستلقيان على ظهريهما كما تستلقى المرأة في الفراش ، ثم ينهضان بحركة من الخصر تشبه ارتداد شجرة ثنتها الريح . . وخلال انحناءاتهما للتحية ، كان سروالهما ينتفخان فجأة كبالونين ينضاويين ، ثم يتسرب الهواء منهما فكانما كانا يتلاشيان . . وأخشى إلا نجد النساء في براعة الرجال ، فان دمامة الرجلين ساعدت على اظهار رقصهما على انه فن !

أنا نتحدث مع رجال الدين من كل العقائد . . ان المواقف والأوضاع التي يتخذها الناس - أثناء الطقوس - جميلة حقا ، في بعض الأحيان . ولقد حملناهم على أن يترجموا لنا الإنشيد والحكايات واللاثورات . . وهى أكثر الأشياء أصالة في شعبيتها وشرقيتها .

ونحن نستأجر علماء لهذا ، ونتصرف في تعاضم ، ونبيع لأنفسنا كثيرا من الوقاحة والتحرر في الكلام ، حتى أن صاحب فندقنا يرى أننا نتمادى أحيانا . ومن المقرر أن نستقبل - في أحد الأيام - جماعة من العرافين والسحرة ، أملا في أن نرى مزيدا من الحركات الشرقية الجميلة .
أكثر يا « لوى » من زيارتك لأمي ، وبث فيها الشجاعة والجلد ، واكتب اليها إذا كانت بعيدة عنك ، فان المسكينة بحاجة لكل هذا . .

من كتاب ((ذكريات أدبية)) ، لمكسيم دوكان

« . . كان الرجل « خليل أفندي » عالما الى درجة لا بأس بها ، يعرف كل شيء عن فروض الاسلام ، وعبادات المسلمين ، والتراث الشعبي الذي يمتزج تماما بالطقوس الدينية حتى يصبح جزءا منها . وقد اتفقنا معه على أن يقضي معنا أربع ساعات يوميا ، مقابل ثلاثة فرنكات عن كل ساعة ، ليجيب عن الأسئلة التي نوجهها اليه . وكنت أتصدر توجيه الأسئلة ، اذ اعتزم استخدام المعلومات في كتاب عن « الآداب الاسلامية » وقد عالج « خليل أفندي » النقاط الست التي تجمع - في الشرق - خلاصة الحياة كلها تقريبا : الولادة ، والطهارة ، والزواج ، والحج الى مكة ، وشعائر الموت ، والآخرة . . وكنا نسجل الملاحظات خلال الحديث . وقد اعتزم « فلوير » أن يستخدم ما سجل في قصة شرقية خطرت له . . »

ولم يكن « فلوير » يغفل - طيلة هذه الاثناء - عن الكتابة الى امه . . وفي ٥ يناير ١٨٥٠ ، كتب اليها يقول :

« . . وصل خطابك الطويل البديع - المؤرخ ١٦ ديسمبر - في وقت مناسب ليكون هدية رأس السنة ، يا حبيبتي المسكينة ! . . كنت أودى زيارة رسمية للقنصل الفرنسي يوم رأس السنة ، عندما وصلت حقيبة البريد ، فبادرت



« لوى (لويس) بوييه » صديق فلوبيج ، الذى استمر
فلوبيج يرأسه خلال الرحلة ، ويصف الكثير من انطباعاتها .

الى فتحها . والتقطت الظروف الذى تعرفت عليه بين مئات غيره . وكانت أصابعى تتحرق شوقا لفضه ، غير أن التقاليد منعتهن للأسف . وثناء الحظ أن يدعونا القنصل الى صالون مسكنه ، لتقدم تحياتنا لزوجته ، وأذ كان بين الرسائل خطاب من أمها ، فقد أذن كل منا للآخر بقراءة رسالته فورا !

هذا هو الشرق ، مهبط الأديان !

ومنذ أيام ، قضيت أصيلا جميلا في زيارة بطريرك الأقباط ، كى أجرى معى حديثا . ودخلنا ساحة مربعة الشكل ، تحيط بها الأعمدة ، وتتوسطها حديقة تحوى عددا قليلا من الأشجار الضخمة ، وتحدها نباتات داكنة الخضرة ، يمتد حولها نوع من الأرائك المصنوعة من الخشب المفرغ . وتقدمنى الترجمان بسروره الفصفاض ، وسترة ذات الأكمام الواسعة . وفى ركن من الأريكة ، جلس البطريرك ، بلحيته البيضاء ، يرتدى طيلسانا ثقيلًا ، وقد تناثرت حوله كتب مخطوطة بنوع غريب من الخطوط . وعلى مسافة منه ، وقف ثلاثة من الأطباء فى ثياب سوداء ، ذؤو لحي طويلة مثله ، وان كانوا أصغر سنا . وقال الترجمان : « هذا خواجه فرنساوى يطوف العالم بحثًا عن المعرفة ، وقد جاء اليكم لتحدثوه عن دينكم » .

واستقبلنى البطريرك بكثير من الحفاوة ، وأحضرت القهوة ، وما لبثت أن بدأت أوجه الأسئلة عن الثالوث ، والعدراء ، والأنجيل ، والقربان المقدس . . كان المشهد رائعًا : السماء زرقاء فوقنا ، والأشجار ، وكميات كبيرة من الكتب . والشيوخ المسن يعبث بلحيته قبل أن يرد على أسئلتى ، وأنا أجلس بجواره متشابك الساقين ، مشرعا قلمى

لأدون ملاحظاتي ، بينما وقف « حسن » بلا حراك ، يترجم أقوالنا بصوت عال ، وجلس الأطباء الثلاثة الآخرون في مقاعدهم الصغيرة ، يهزون رءوسهم ، ويعلقون بكلمات عابرة .
لقد استمتعت كثيرا بهذه الجلسة .. هنا هو الشرق القديم حقا ، أرض الديانات والعبادات الفضاضة .. وعندما انصرف البطريرك ، حل محله واحد من رجاله ، حتى اذا رايت - في النهاية - أن وجوههم قد احمرت من التعب ، انصرفت علي أن اعود فيما بعد ، فهناك الكثير الذي يمكن تعلمه في هذا المكان .. أن القبطية هي أقدم الطوائف المسيحية القائمة ، ولم يعرف عنها في أوروبا الكثير ، على قدر علمي .. ولنسوف اتحدث كذلك مع الأرمن والروم والسنيين وعلماء المسلمين بوجه خاص .

مارلنا ننتظر عودة القافلة (المحمل) من مكة ، فهذا حدث عظيم يجب ألا اضيعه ، ولذلك فلن نرحل الى مصر العليا الا بعد وصول الحججاج ، فهناك بعض أشياء غريبة جديدة بالمعرفة كما يقولون لنا .. مشهد جيات الشيوخ وهي تسير فوق أجسام المؤمنين المنبطحة على الأرض ، وكافة فئات الصوفيين والدرأويش ، الخ .. !

اننى حين أفكر في مستقبلى ، وهو ما يحدث نادرا - اذ اننى لا أفكر في شيء اطلاقا ، بصفة عامة ، برغم ما ينبغى أن يراود المرء من افكار ، أمام الأطلال - أسائل نفسى : ماذا سأفعل بعد عودتى ؟ ماذا سأكتب ؟ ما الذى سأصليح له ؟ أين سأقيم ؟ أى طريق سأسلك ؟ وما الى ذلك .. اذ ذاك أمتلىء بالشكوك والتردد .

لقد اعتدت - في كل مرحلة من حياتى - أن اتجنب مشكلاتى بهذه الطريقة ، وساموت فى الستين من عمرى ولما اتخذ أى رأى فيما يتعلق بنفسى ، بل ربما قبل أن أكتب شيئا يرينى مدى قدراتى .. اننى كثيرا ما أسائل نفسى : هل

كتابي ((القديس انطوان)) كتاب جيد ام رديء ؟ .. هل كنت مخطئاً في تأليفه ام ان الآخرون هم المخطئون ؟
 على اننى لا اعبأ بشيء من هذا ، واعيش كالنبات ، املأ
 كيانى بالشمس والنور ، بالألوان والهواء المنعش .. وبتعبير
 آخر ، اظل آكل .. ولا بد لمشكلة الهضم من حل فيما
 بعد ، وهذا اهم الامور !
 تسأليننى عما اذا كان الشرق قد حقق ما كنت أتصوره
 عليه .. أجل لقد فعل ذلك وأكثر منه ، حتى انه ليتمد الى
 ما هو أبعد من الفكرة الضيقة التى كانت تراودنى عنه فى غير
 وضوح .. لقد حلت الحقائق محل الافتراضات ، بدرجة
 رائعة ، حتى اننى كثيراً ما اخال اننى عثرت فجأة على أحلام
 قديمة منسية !

www.kalball.net من فلوير الى أمه

القاهرة فى ٣ فبراير ١٨٥٠ :

قد نرحل الى مصر العليا يوم الأربعاء القادم ، وسوف
 نتناول العشاء قبيل رحيلنا مع سليمان باشا ، بينما تكون
 سفينتنا فى الانتظار أمام أبواب قصره ، على شاطئ النيل .
 واذا كانت الريح مواتية ، فسوف نقلع بعد العشاء مباشرة ،
 فنتجه الى أعالي النهر بأسرع ما يمكننا ، ولا نتوقف الا عندما
 تتوقف الريح - وهو شيء لا يحدث كثيراً - وفى طريق عودتنا
 سنتوقف لزيارة بعض الأماكن فى أوقات فراغنا .
 وسفینتنا مظلّية باللون الأزرق ، وربانها أو « ريسها »
 يدعى « ابراهيم » ، كما ان فيها تسعة من الملاحين ، وقد
 خصصت لاقامتنا عليها غرفة بها أريكتان متقابلتان ، وغرفة
 كبيرة بها فراشان ومكان لامتعتنا ، وثالثة سينام بهنا
 « ساسيتى » (بجانب استخدامها كمخزن للمؤن) . أما
 « الترجمان » فسينام على السطح .. وهو رجل لم ينخلع

ثيابه غير مرة واحدة منذ استخدمناه .. ولفته غريبة ، ومظهره أكثر غرابة ، ولكنه طيب القلب ، أهل للثقة ، يستطيع المرء أن يذهب معه الى آخر العالم دون أن يصيبه خدش !
تسأليني عن رسالتى التى أؤديها خلال رحلتى ؟ .. لا يكاد يوجد ما أؤديه ، واعتقد انى لن افصل شيئا تقريبا . فانا ازداد شعورا بعدم المبالاة بكل شيء .. وبعد عودتى ساستأنف حياتى الهادئة وعملى ، فى مقعدى الكبير المريح - على مقربة منك يا حبيبتى - فى حجرة مكتبى .. هنا كل ما اعترم ، فلا تتحدثى بريك عن دفع نفسى الى الامام ، فلماذا ادفع نفسى ؟ .. ماذا يمكن أن يرضيني أكثر من البهجة التى أشعر بها عندما اجلس أمام الطاولة المستديرة التى أكتب عليها ؟ .. أنت امتلك فعلا كل شيء يعتبره الناس جديرا بالحسد !

اتنى أتمتع بالاستقلال وحرية الخيال ، ومائتى قلم للكتابة ، ومعرفة بكيفية استخدامها .. ثم ها هو الشرق - ومصر بوجه خاص - يعمل على تبيد بواعث غرورنا اللئيمى .. فان رؤية الكثير من الأطلال القديمة تجعلك تفقد الرغبة فى بناء أى جديد .. وغبار الماضى يجعلك لا تبالين بشهرة .. وأنا فى الوقت الحالى لا أرى ما يدعو - حتى من الناحية الأدبية - لأن افعل أى شيء يجعل الناس يتحدثون عنى .. ان الحياة فى باريس ، ونشر الكتب ، وتنشيط نفسى .. كل هذه تبدو - من هذه المسافة البعيدة - أمورا لا تطاق .. ولكن ، ربما غيرت رأى فى هذا الشأن بعد عشر دقائق فقط !

(وهكذا نلمس فى حديث « فلوير » الى امه ، ما لسناه فى رسالته الى صديقه « بويه » من زهد فى العمل ، وميل الى علم المبالاة .. اما الرحلة النيلية ذاتها ، فلا تجد وصفا لها ، سوى ما كتبه « مكسيم دوكان » فى كتابه « النيل : مصر والنوبة ») :

من كتاب (النيل : مصر والنوبة) لكسيم دوكان

.. كان «ريس» مركبنا شابا وسيما في الخامسة والعشرين يدعى ابراهيم ، وقد اعتاد أن يقضى أيامه في مقدمة السفينة، يحدق الى الأمام مباشرة ، ويلقى بعض الأوامر بين حين وآخر .. وما أقل ما يتحدث مع بحارته ، وهو يأكل بمفرده، ولا يدخن قط .. شخص دقيق أنيق ، نظيف ومهندم .. ورغم البساطة المتناهية في ملبسه - الذي يتكون من ثوب أزرق وعمامة بيضاء - فقد كان محوطا بجو من الكبرياء ، يزيد بهابة لونه الأسمر وملامحه المعبرة وعيناه الوادعتان .

وعندما خلع عمامته يوما ليحلق رأسه ، رأيت خصلة من الشعر تنحدر حتى خاصرته .. شعر أسود جميل ، تحسده عليه أكثر النساء .. وكان خشنا متعاليا مع رجاله ، يضربهم أحيانا ، ولكنه كان - إذا ما تطلب الأمر أن يضرب لهم مثلا وسط تيار شديد - يمسك المجاديف أو الزانة ، ويدفع المركب بنفسه .. وكان ابراهيم يؤدي صلواته الخمس بانتظام كل يوم ، ولم يهبط قط الى الشاطئ .. ولا أذكر أنني وجهت اليه كلمة لوم واحدة ، طيلة الأشهر الخمسة التي عمل فيها في خدمتي .

أما الترجمان «جوزيف» ، فكان رجلا فريدا ، في الخامسة والخمسين من عمره ، يقظا ، نحيفا ، ذا لحية طويلة بيضاء ، وكانت له زوجة شابة تستهلك كل مليم يكسبه .. وهو أصلا من أهالي (جنوه) ، وقد بحث عن حظه في الجيش المصري ، وفي التجارة ، وفي خدمة السائحين ، دون أن يصيب توفيقا يذكر .. وكان قد وصل الى مصر بعد شباب مليء بالمغامرات ، وأصبح يعرف البلاد حتى أصغر قرية وآخر نخلة .. أما لفته فكانت خليطا من العبرية والفرنسية والإيطالية . ولم يكن من السهل دائما فهمه ، ولكن الخمول

والخمر وحب النساء - وهي العيوب المعتادة في التراجمة - لم تكن موجودة في جوزيف . وكان - برغم غروره الذي لا يبارى - مثابرا كدودا ، غير أن نظافته كانت موضع شك ، ففي كل صباح ، كان يمر بطرف ممتشفة مبللة قليلا على جوانب عينيه ، في حركة خفيفة ، ثم يقول بارتياح : « لقد اتممت زينتي » !

ولم يكن جوزيف ملما بالقراءة والكتابة .. وكانت هذه الامية تسبب له اذلالا واسفا دائمين .. وقد قال لي ذات يوم : « كان في امكاني ان اكون كولونيليا لدى الأتراك ، او ربانا لفرقاطة تركية ، لو انني كنت اعرف كيف اكتب ! »

ولعله كان محقا في ذلك .. لم يكن يمثل قط ، ولا كان يسرف في سرقتي .. وكان يطيع الأوامر بسرعة ، كما انه كان مفيدا جدا في سفرنا على النيل .. وكان على وفاق مع خادمي « ساسيتي » الذي رافقني من باريس ، والذي تمكنت بفضل مساعدته وذكائه من اتمام عملي الفوتوغرافي بنجاح ، اذ كان يقوم بتقطير الماء ، وغسل الأوعية ، ويتركني حرا ، اكرس كل جهودي لعملية تحميض الافلام السلبية .. وهي عملية مرهقة ، اذ لم يكن التصوير الفوتوغرافي سهلا في ذلك الحين كما هو الآن !

وكنت كلما زرت بعض الآثار القديمة ، اصططحت احدهم بحارتنا وجهاز التصوير ، وكان هذا البحار نوبيا وسيما جدا ، يدعى الحاج اسماعيل .. فكنت اجعله يصعد فوق الأثر الذي اريد تصويره ، ليتسنى لي استخدام مقياس موحده للنسب في كل صورة من لوحاتي الفوتوغرافية .. وكانت الصعوبة الكبرى هي جعل الحاج اسماعيل يقف ساكنا ريثما اؤدي عملي .. وأخيرا خطر لي ان اقول له ان الانبوبة النحاسية التي تبرز منها عدسة آلة التصوير ، ليست الا

مدفعا سيفمره بسيل من الطلقات اذا هو تحرك من مكانه . .
وهى خدعة جعلته يكف عن الحركة تماما !
ومن الأشياء التي تعلمتها من الرحلة ، بعض الطقوس
والتقاليد الدينية ، منها انه وفقا للشريعة الاسلامية ، لا بد من
التطهر التام بعد أداء بعض الأفعال البدنية : فعندما يغادر
الزوج فراش زوجته - مثلا - عليه أن يفمر نفسه تماما في
بركة ماء أو نهر أو ما شابههما ، على أن يبقى رأسه تحت الماء
بعض الوقت . حتى اذا خرج من الماء ، يرفع يديه الى السماء
قائلا : « أشكرك يا الهى على نعمتك التي أسبغتها على ، وأبتهل
اليك لترشد الطفل الذي قد أنجبه ، الى طريق الهدى . .
اللهم اغمض عيني عن المعاصي » . .

من مذكرات: « فلوير » خلال الرحلة

٦ فبراير ١٨٥٠ - على ظهر المركب : عندما خان غروب
أول يوم لنا بعيدا عن القاهرة ، لاحت السماء حمراء
قانية الى اليمين ، وردية الى اليسار ، بينما كانت الأهرام
ترسم مثلثات رمادية حادة في الأفق القرمزي . . والى
اليسار شحبت السماء عند السميت ، وتحولت من اللون
الوردي الى الأصفر ، فالأخضر . . ثم شحبت اللون الأخضر ،
وبتحول لا يكاد يشعر به أحد ، أصبح لونها أبيض . . وعلى
الجانب الأيمن من السماء ، كان هناك وهج يفمر السماء
بضوء ذهبي .

البحارة يرقصون . . و « جوزيف » امام موافده ،
والمركب تتمايل في سيرها ، بينما يتوسط النيل المنظر
الطبيعي . . ونحن في وسط النهر . .

. . وفي مكان بعيد ، وعند نهر أكثر رقة وأصغر عمرا من
هذا النهر ، أعرف بيتا أبيض ، أدرك ان مصاريع نوافذه



صورة فوتوغرافية لجوستاف فلوير ، بملابس عصره ..

مغلقة الآن ، لأننى لست هناك ! » (١) .

لياليه مع غوازى قنا واسنا !

من فلوير الى ((بويه)) ، فى ١٣ مارس : نحن الآن على مسافة ١٢ فرسخا جنوب (اسنا) . . بعد ست أو سبع ساعات ، سنجتاز مدار السرطان الشهير . . ان درجة الحرارة فى الظل تبلغ ٣٠ درجة ، ونحن حفاة الأقدام ، لا نرتدى غير القميص . . اننى أكتب لك هذا وأنا جالس فوق أريكة ، أستمع الى دقات « الدريكة » يوقعا بحارتنا وهم يغنون ويصفقون بأيديهم ، بينما السماء تصلى سطح مركبنا بشواظ من نار ، دون رحمة . . والنيل منبسط كأنه نصل من فولاذ ، وعلى الضفتين مجموعات من نخيل باسقة ، والسماء شديدة الزرقة . . لكم افتقدك الآن يا صديقى !
اننى اقرأ « الأوديسة » - كل يوم - باللغة اليونانية .
ومنذ ركبنا النيل ، طالعت أربعة أجزاء منها . . اننا سنعود الى الوطن عن طريق اليونان ، ولهذا فانها قد تكون مفيدة لى . . وفى أول يوم على ظهر المركب ، بدأت أكتب قليلا ، غير أننى أحمد الله إذ لم أمض طويلا قبل أن أدرك سخافة مثل هذا العمل ، فمن الأفضل الآن أن أكون كلى عيون . .

اننا نعيش فى أكبر قسط من الخمول ، نتمدد فوق أرائكنا ، ونرقب كل شىء يمر بنا : الأبل ، وقطعان الثيران القادمة من (سنار) فى السودان ، والمراكب المتجهة الى القاهرة محملة بالنساء الزنجيات وسن الفيل . . اننا الآن يا سيدى العزيز فى أرض تسير فيها النساء وهن لا يرتدين غير الأقراط فى آذانهن . . لقد رأيت فتيات من النوبة تنحدر

(١) يشير فلوير بهذه العبارة الى بيت أمه ، الذى خلا منه . .

قلائدهن المصنوعة من العملة الذهبية الى ماتحت خصورهن ،
وبطونهن السوداء مزدانة بعقود من الخرز الملون ..

وبين القاهرة وبنى سويف لم يحدث شيء ذو بال ،
وبعد (بنى سويف) استغرقنا خمسة أيام للوصول الى
بحيرة موسى . وفي مدينة (الفيوم) قضينا الليل في بيت
رجل مسيحي من أهل دمشق ، عرض علينا ضيافته .

وعندما تقطع هذه الرحلة برا ، تقضى لياليك في بيوت من
الطين الجاف ، تتطعم الى النجوم من خلال شقوق في السقف
التي تبدو كاقامع السكر . وعند وصولك الى احد هذه
البيوت ، ينبع الشيخ الذي يستضيفك خروفا ، ويأتي كبار
رجال القرية لزيارتك وتقبيل يديك !

وفي قنا : نزلنا الى البر لشراء المون ، ورجعنا نسير في
سلام ، تداعبنا الأحلام ونحن نستنشق عبير خشب الصندل
وسط الاسواق . وفجأة وجدنا أنفسنا عند منحني في
الشارع ، وسبط حى البغاء في البلدة ، وتصور يا صديقي
خمسة أو ستة من الشوارع الملتوية ، وعلى جانبيها اكواخ
من الطين الأسمر الجاف ، ارتفاع كل منها حوالى أربعة
اقدام ، تقف على أبوابها النساء ، أو يجلسن على حصائر من
القش ، وهن يرتدين ثيابا زاهية الألوان تتطاير أطرافها في
الهواء الساخن .. وعلى صدورهن العارية قلائد طويلة من
العملات الذهبية ، ينبعث رنينها كلما تحركن . وهن ينادينك
باصوات مغرية : « تعال يا خواجه ! .. يا خواجه ! »

لقد مررت بتلك الشوارع عدة مرات ، معطيا الهبات
للنساء ، تاركا إياهن يحظن وسطى بأذرعهن محاولات اجتدابی
الى داخل اكواخهن . ولكننى قاومت متعمدا ، اذ عقدت
العزم على الا أفسد جو الأسى الذى اشاعه المنظر في نفسى !
بيد اننى لم اكن بهذا الزهد والمزاج الفنى دائما .. ففى

(اسنا) زرت « كوجك هانم » ، وهى غانية مشهورة . . وكانت خادمتها الامينة قد جاءت الى المركب فى الصباح ، يصحبها خروف مدلل تناثرت فى فرائه بقع من الحنساء الصفراء ، وعلى انفه كهامة من المخمل الاسود . . كان يتبعها كالكلب . . مشهد غريب جدا !

ولم يفغل « فلوير » تسجيل زيادته لمنزل « كوجك هانم » بتفصيل دقيق ، فى المذكرات التى كان يكتبها خلال الرحلة ، كما سترى :

٨ مارس ١٨٥٠ - اسنا : منزل « كوجك » هانم . . خادمتها « بيه » تتقدمنى يصحبها خروفها ، فتفتح بابا يفضى بنا الى منزل ذى ساحة صغيرة . . وفى مواجهة الباب درجات سلم ، وعلى الدرجات وقفت امرأة يحيط بها النور ، وتترأى من خلفها زرقة السماء ، وقد ارتدت سروالا فضفاضا وردى اللون ، وليس على بقية جسمها غير قماش رفيع شفاف ، بنفسجى اللون .

كانت قد برزت من الحمام لتوها ، فانبعث من نهديها المثلثين المتناسكين ، غير منعش . . شئ أشبه برائحة زيت ((التريبتينا)) المعطر . . وبادرت بتعطير أيدينا بماء الورد . . و « كوجك هانم » غانية طويلة ، بديعة ، اصفى لونا من العرب ، وقد جاءت من دمشق . . واذا مالت ، كان بدننها ينثنى فى موجات برونزية ، وعيناها سوداوان واسعتان ، وفتحة خياشيمها مستطيلة . . عريضة المنكبين ممتلئتهما ، ولها نهدان ممتلئان كالتفاحتين . . وكانت ترتدى طربوشا كبيرا ، يزين قمته قرص ذهبى مقوس تتوسطه قطعة من زجاج أخضر كالزمرد ، بينما انتشر زر طربوشها الأزرق على هيئة المروحة وانسدل على كتفيها . . وعند الحافة السفلى للطربوش ، وضعت فرعا صغيرا من زهور صناعية بيضاء . . وكان شعرها الأسود المتموج ينحدر من مفرقها فى فرعين على جانبيها . . وحول معصمها التف شريطان ذهبيان مجدولان

كالضفائر .. وكانت تتزين بقلادة ذات ثلاثة فروع من حبات ذهبية مجوفة ، وقرطين أشبه بقرصين ذهبيين مقعرين قليلا وقد علقت بأطرافهما قطع ذهبية صغيرة . وعلى ذراعها اليمنى وشم أزرق يمثل كتابة ما .

وسألتنا « كوجك هانم » عما اذا كنا نرغب في شيء من الطرب ، ولكن « مكسيم » قال انه يؤثر ان يلهو معها وحده اولا ، فنزلا الى الطابق الأسفل . وبعد ان انتهى من خلوته بها ، حنوت حنوه !

وجاء الموسيقيان : طفل ورجل مسن غطيت عينه اليسرى بقطعة من القماش . وأخذ الاثنان يعزفان على الربابة ، وهي نوع من الكمان صغير ، مستدير ، له ساق حديدية - تستقر فوق الأرض - ولها وتران من شعر الخيل ، وعنق طويل جدا بالنسبة لبقية جسم الآلة ، وكان الصوت المنبعث منها نشازا يثير النفور ، ولم يكن العازفان يتوقفان عن العزف الا عندما كنت أصرخ فيهما !

وبدأت « كوجك هانم » و « بمبة » الرقص .. كان رقص « كوجك » عنيفا .. فهي تضم نهديها العاريين معا بين طرفي سترتها ، وتضع حزاما من شال بنى اللون به شرائط ذهبية ، وتنهض على احدى القدمين ، ثم على الأخرى ، في حركات رائعة .. وعندما تكون احدى القدمين على الأرض ، تتحرك الأخرى الى أعلى والى الامام ، وكل ذلك بقفزة خفيفة .. لقد رايت مثل هذه الرقصة على الأواني الافريقية القديمة .

أما « بمبة » فتفضل الرقص المستقيم : تتحرك مع رفع وخفض أحد الردفين فقط ، في تمايل ايقاعي بديع .. وكانت تخضب يديها بالحناء ، ويبدو أنها خادمة وفيه لكوجك هانم ، وكانت قبل ذلك وصيفة في بيت ايطالي بالقاهرة ، ولهذا فهي تفهم بعض الكلمات الايطالية . وكانت عيناها مصابتين

برمد خفيف . على أن رقص الاثنتين كان بوجه عام - فيما عدا فترات « كوجك » التي وصفتها من قبل - أقل جودة من رقص « حسن البيبسي » ، وهو الرجل الذي رأته يرقص في القاهرة . أما رأى جوزيف ، فهو أن كل الراقصات الجميلات الشكل ، رديئات الرقص !

واخذت « كوجك » الدربكة . . انها عندما تعزف عليها تتخذ وضعا ممتازا : الدربكة على ركبتيها او على فخذيها اليسرى ، وتخفض الساعد الايسر بينما ترفع معصم اليد اليسرى ، وباصبع من هذه اليد تدق على الدربكة ، بينما تهوى اليد اليمنى بدقائق بعرض الكف لضبط الايقاع . . وتميل العازفة براسها الى الخلف ، في وضع جامد ، بينما يكون جسمها منحنيًا - بعض الشيء - على الدربكة .

وكانت المرأتان والموسيقى المسن يشربون الكثير من « العرقى » ، وقد رقصت « كوجك » وهي تضع الطربوش على رأسها ، ثم صحبتنا الى مؤخرة مسكنها ، وصعدت فوق ظهورنا ، وهي ترسم بلامح وجهها أوضاعا وصورا هزلية ، كأي مهرج أوربي .

في المقهى : كوخ يتسلل ضوء الشمس من خلال الأغصان التي شيد منها ، فيحدث بقعا منسيرة على الحوائط التي جلسنا فوقها ونحن نحتسى القهوة . . وكانت « كوجك » تطرب لرؤية رأسينا الحليقين ، ولسماع « مكسيم » يقول : « لا اله الا الله محمد رسول الله » . .

وانطلقنا لزيارة الآثار مرة أخرى . . وبعد تناول العشاء ، عدنا الى بيت « كوجك » . . كانت الغرفة مضاعة بثلاث فتائل في أكواب مليئة بالزيت ، وضعت كل منها داخل قمع من الصفيح مدلى على الحائط . . واتخذ الموسيقيان مجلسيهما ، وشرب الجميع أقداحا كثيرة من الخمر بسرعة !

واقبلت « صفية الصغيرة » ، وهي امرأة صغيرة الحجم ، كبيرة الأنف ، ذات عينين سوداوين غائرتين ، تومضان بشهوة وحشية .. وكان لقلادتها المصنوعة من قطع العملة رنين كرنين عربية ريفية .

جلست النساء في صف على الأريكة يغنين ، والمصاييح تلقى ظللا مهتزة ، ذات أشكال هندسية ، على الجدران .. الضوء أصفر ، و « بمبة » ترتدى ثوبا وردى اللون واسع الكمين (وكل الثياب النسوية زاهية) وقد غطت شعرها بمنديل أسود كما تفعل الفلاحات .. ورحن يغنين ، وصوت الأريكة يرتفع ، بينما تضيء الربابة بنغمها الرتيب ايقاعا ناعما ولكنه حاد .. كانت الأغنية أشبه بأنشودة مرحة في جنازة !

ورقصت « كوجك » رقصة النحلة . وقبل أن تؤديها ، أخرجت النسوة « فرغلي » وبجارا آخر - كانا يشهدان الرقصات ، وهما يمثلان العنصر الخشن في الصورة حتى الآن - وذلك لافتراق باب الحجرة علينا . ثم وضعت عصاها سوداء فوق عيني الطفل الموسيقي ، وانزلت طية من عمامة الموسيقي الكهل فوق عينيه .. وراحت « كوجك » تخلع ثيابها قطعة قطعة - أثناء الرقص - حتى أصبحت عارية تماما إلا من منديل تمسكه في يدها ، وكانما كانت تستتر وراءه ! .. وأخيرا أقت المنديل أيضا ..

هذه هي رقصة النحلة ، وقد أدتها في إيجاز شديد وقالت انها لا تحب أن ترقصها عادة ! وبعد أن كررت أمامنا الرقصة البديعة التي أدتها في النهار ، أقت بنفسها فوق الأريكة وهي تلهث ، بينما ظل جسدها يهتز في ايقاع خفيف .. وناولتها إحدى النساء سروالها الأبيض الكبير المطرز بالورد ، فجذبتة الى أعلى حتى بلغ عنقها . وتزعمت العصابتان عن عيون الموسيقيين .. وعندما تربعت « كوجك » على

الأريكة ، بدت ركبتيها في أكمل بهاء ، وكأنما صافتهما يدا
فنان مبدع .

وقصة أخرى : يوضع قدح من أقداح القهوة على الأرض ،
وترقص « كوجك » أمامه ، ثم تهبط على ركبتيها ، وتواصل
تحريك جذعها ، وهي تلدق الصاجات وتحرك يديها في الهواء
وكانها تسبح . . ويستمر هذا ، بينما تخفض رأسها تدريجاً
حتى تصل إلى القدح ، فتمسكه من حافته بين أسنانها ، ثم
تنهض بسرعة في وثبة واحدة .

ولم تكن « كوجك » شديدة التحمس لقضاء ليلتها معنا ،
خوفاً من اللصوص الذين قد يأتون إذا علموا بوجود غرباء
لديها . ونام بعض الحراس أو الخفراء في غرفة جانبية
بالطابق الأسفل ، مع جوزيف وفتاة زنجية ، وعبد حبشى . .
وأصرت « كوجك » على أن تنام في الجانب البعيد عن
الحائط من الفراش ، بينما أضواء الحجرة نور خافت من
فتيلة في قدح بيضاوي الشكل . . ونام كلبها على سترتها
الحريرية فوق الأريكة ، فكنت أغطيها بسترتي إذا سعلت . .
وأسلمت نفسي إلى ذكريات متوترة ، ودفء جسدها يلهبني .
واستيقظنا مع الفجر وقد امتلأنا رقة وحناناً . .

ما أبدع الزهو الذي تشعر به عندما توقن - في لحظة
رحيلك - من أنك تركت وراءك ذكرى . . وأن المرأة ستوليكَ
من تفكيرها أكثر مما تولى غيرك ممن كانوا هناك . . وانك
ستبقى في قلبها !

وفي الصباح تبادلنا الوداع في هدوء شديد .

٩ مارس ١٨٥٠ - أسوان : هذه الفتاة الطويلة القامة
اسمها « عزيزة » ، إنها أكثر حدقا للرقص من « كوجك » ،
وقد خلعت ثوبها الفضفاض ، وارتدت ثوبا قطنيا على الطراز
الأوربي ، ثم بدأت الرقص . . عنقها ينزلق إلى الورا والامام
فوق عمودها الفقري ، وكثيرا ما كان يميل جانبا ، فكان

رأسها كان يسقط على الأرض !
 أنها تقف على إحدى القدمين وترفع الأخرى وقد ثنت
 ركبتها في زاوية قائمة ، ثم تنزلها في ثبات .. وفي رقصة
 أخرى ، وضعت القدم اليسرى مكان اليمنى ، واليمنى مكان
 اليسرى ، وأخذت تبدل وضعهما في سرعة بالغة .
 وخلعت ثيابها .. كانت تضع فوق بطنها حزاما من
 خرز ملون ، بينما كانت قلادتها الطويلة - المصنوعة من قطع
 العملة - تتدلى من عنقها حتى أسفل بطنها ، وقد ((لخصمت))
 طرفها في الحزام الخرزى . وحاولت طفلة صغيرة - في
 الثانية أو الثالثة من عمرها - أن تقلدها متأثرة بالموسيقى ،
 فأخذت ترقص مثلها دون أن تحدث أى صوت .

حدث هذا في كوخ من الطين - لا يكاد ارتفاعه يكفى لكى
 تقف المرأة فيه منتصبة القامة - في حى خارج المدينة ، أغلبه
 انقاض وأطلال تتساوى بالأرض !

٢٩ مارس ١٨٥٠ - أبو سنبل : تأملات : ان المعابد المصرية
 رغم جلالها ، تبعث في نفسى الملل .. مثلها مثل الكنائس في
 مقاطعة بريتانى .. أو مساقط المياه في جبال (البيرنيز) !

عقاب ((الأفندى)) لشيخ القرية !

٤ أبريل ١٨٥٠ : غادرنا بسفينتنا بلدة « السبوع » في
 الرابعة صباحا . وحوالى الحادية عشرة ، قابلنا مركب « أفندى »
 سبق أن رأيناه في (وادى حلفا) ، وهو « ناظر » مكلف بحماية
 الضرائب بالقوة ، من أسوان حتى وادى حلفا . لقد فاجأ
 « الأفندى » شيخ إحدى القرى واعتقله بالقوة لأنه لم يقدم
 مليما واحدا من الضريبة المطلوبة ، وكان الشيخ مقيدا
 بالسلاسل في قاع المركب ، لا نستطيع أن نلمح غير رأسه
 الأسود العارى يلمع تحت الشمس .

وتواصل مركب «الأفندى» سيرها على مقربة من مركبنا فترة من الوقت ، ثم تلمس مقدمتها ، ويحمل الينا رجل منها خروفا صغيرا ، هدية من « الأفندى » . . وعلى الشاطئ ، كنا نرى - طوال اليوم - رجالا ونساء من قرى كثيرة ، يتابعوننا ، أو - على الأصح - يتابعونه هو ، على ضفة النهر . وقام « الأفندى » بزيارة طويلة لنا ، أهديناها خلالها زجاجة من نبيذ قبرص وأخرى من العرقى . وعرفنا أن الشيخ الذي اعتقله سيساق الى بلدة (الدر) ، حيث يتلقى أربعمئة أو خمسمئة ضربة ، يترك بعدها مقيدا الى شجرة حور ضخمة ، الى أن يدفع أحد عنه كفاية . .

وحدثنا الناظر عن الضرب « بالقلقة » . . فاذا كان المراد قتل الشخص ، فان أربع أو خمس ضربات تكفى . . لقصم العنق أو تحطيم الفخذ ! . . واذا كان المنشود هو مجرد العقاب ، فانه يضرب على مؤخرته . . والعدد المعتاد من الضربات هو أربعمئة أو خمسمئة ، يمرض بعدها الانسان خمسة اشهر ، أو ستة . . وهى المدة الكافية لتبديل الجلد القديم بأخر جديد . أما فى (النوبة) ، فان الضرب يوقع دائما على أسفل القدمين . ويخشى أهل النوبة هذا العقاب بشدة ، اذ يصبح المشى بعده صعبا ألما !

الشرق والغرب عنده . . يلتقيان !

(من كتاب « ذكريات أدبية » لكسيم دوكان)

« . . ان أى معبد يبدو كغيره تماما فى عين « فلوبر » . . كما ان المساجد والمناظر الطبيعية كلها سواء لديه . ولست أوقن من أنه وهو يحدق فى جزيرة (فيله) ، لم يتنهد للذكرى مروج (سوتفيل) ، أو انه حين شاهد النيل لم يشعر بالحنين الى (السين) . . وفى جزيرة (فيله) جلس فى ظل أحنذى قامات معبد ايزيس العظيم ، ليقرا كتاب « جيرفو » لشارل

دى برنار ، الذى اشتراه من القاهرة . . والتفكير فى أمه
يجلبه دائما فى اتجاه بلدة (كرواسيه) - حيث تقيم - فى حين
أن خيبة أمه فى كتابه عن « القديس انطوان » لا تزال تثير أساهه .

من « فلوير » الى أمه

(فيله) فى ١٥ ابريل ١٨٥٠ : ها نحن أولاء ، قد عدنا
من النبوة فى صحة جيدة - اذا كان للمرء أن يقول مثل هذا
القول ، بعد أن قضى شهرين طويلين ، دون أن يتلقى كلمة من
أولئك الذين يحبهم أكثر ممن عداهم من البشر جميعا !

لقد عدنا الى (فيله) أمس ، والليل يرخى سدوله . وعلى
الفور انطلقت مع « جوزيف » على حمار الى أسوان - التى
تقع على مسافة فرسخ من هنا - على أمل العثور على حزمة
من الرسائل ، ولكنى لم أجد شيئا . وخيل لى أنه قد فاتك
البريد مرة واحدة ، وأن كل الرسائل الأخرى موجودة فى
القنصلية الفرنسية بالقاهرة . لهذا كتبت لتوى . أطلب
ارتئالها الى (قنا) ، والا بقيت بدون رسائل منك حتى نعود
الى القاهرة فى نهاية مايو . . وبهذا أقضى أربعة أشهر دون أن
أعرف ماذا حدث لك !

كانت السماء جميلة - ليلة أمس - والنجوم تتلألأ ،
والأعراب يرددون أناشيدهم فوق إبلهم . . كانت ليلة من
ليالى الشرق حقا ، وزرقة السماء تدوب فى فيض من تالق
النجوم . ولكن قلبى كان جد حزين يا حبيبتى المسكينة ! . .
اكتبى لى مرتين - فى كل بريد - بل مائة مرة لا مرة واحدة .
فإن الخطاب الواحد يمكن أن يصيح بسهولة ، وكم من رسائل
لكسيم اختلفت . . لو اننى أوقن من أن رسائلى تصل إليك ،
لما شكوت . . هذا هو سر لوعتى الكبرى ، فكم تتمكنى
التعاسة إذ تخيل لفتك !

قد تكونين مريضة يا حبيبتي ، أو لعلك تبكين في هذه اللحظة ، وتأملين بعينيك الجميلتين الخريطة التي لا تبين لك منها سوى مساحة خالية ، يضيع فيها ابنك ! . . لا ، لا ، لسوف أعود . . لا يمكن أن تكوني مريضة لأن الرغبة القوية في الحياة تصونها . . لن تلبث أن تكتمل ستة أشهر على رحيلي ، وبعد ستة أخرى لن يطول ارتقاب عودتي . . يحتمل أن يكون هذا في يناير أو فبراير المقبل .

أحضر « الأفندي » - مساء أمس - رسائل لكسيم . . حتى « ساسيتي » تلقي رسائل ، أما أنا فلم يصل لي شيء منك ، ولا من أخي « آشيل » الذي كان ينبغي أن يوافقني ببعض أخبارك . .

طيبة - ٣ مايو ١٨٥٠ : الساعة الرابعة والنصف صباحاً ، وقد نهضت على عجل يا حبيبتي المسكينة ، لأرسل لك هذا الخطاب عن طريق الوكيل الفرنسي في قنا ، وسيقوم رسول خاص - على صهوة جواد - بحمله الى القاهرة ويعود بالرسائل الواردة منك - اذا كانت هناك رسائل - فهل أكون أسعد حظاً في (قنا) منى في (أسوان) ؟ أمل !

وصلنا الى طيبة في التاسعة من ليلة أمس . . وقد جنبنت خلال الأقصر في ضوء القمر ، الذي كان يرتفع خلف إصاف من الأعمدة ، ليلقى ضوءه على الأطلال العظيمة : آه ، ما أجمل المناء هنا يا عزيزتي ! . . يا للنجوم ويا لليالي ! . . إننا لم نر بعد شيئاً من (طيبة) ، ولكنها ولا بد رائعة . . سنبقى هنا أسبوعين كما أظن !

بين قفط وقنا - في ١٦ مايو ١٨٥٠ :

كنت أفكر في صديقي « الفريد » دون انقطاع وأنا في (طيبة) ، كما أفكر كثيراً في الآخرين أيضاً يا حبيبتي . . . اننى لا أستطيع ان أعجب بما أرى في صمت ، فلا بد لي من أن

أصيح والوح ييـسـدى ، وأصرخ ، وأحطم المقاعد أو أفعل أى
شئ يدعو الآخرين لمشاركتى بهجتى وسرورى .
عندما أتناول رقعة ورق لأكتب لك ، لا تكون لدى أية
فكرة عما أوشك أن أقول . . ثم تبدأ الخواطر تتوارد من
تلقاء نفسها ، وأجدنى أثرثر وأطيل الحديث . اننى أشعر
بمتعة فى ذلك . . سطر يتلو سطرًا . وعندما ينضب معينى
أقرأ ما كتبت كأننى أودعه ، وأهمس له بأفكارى قائلا :
« اذهب سريعًا وقبلها نيابة عنى » .

قنا فى ١٧ مايو : فرحة ! فرحة ! ان قلبى يشب معها يا أمى
العزيزة . . عشر رسائل لى بينها واحدة من « بوييه » ،
وأخرى من « ماران » . . اننى أقبلك حتى تختنقى . . انك
على ما يرام ، وأرى انك كنت عاقلة . احبك ألف مرة من أجل
ذلك . ما أعز رسائلك ! اننى التهمها كرجل جائع . . وداعا
وآلف قبلة مرة أخرى !

من فلوير الى « بوييه »

بين جرجا واسيوط - فى ٤ يونيو ١٨٥٠ :

فكرت فى أمورى منذ افترقنسا يا لوى . . استرجعت
حياتى الماضية باهتمام عميق ، وأنا جالس فى مقدمة مركبنا
النيلى ، أرقب الماء وهو ينساب وراءنا برفق . . . عادت بى
الذاكرة الى أشياء نسيتهما ، فكانها مقاطع من أناشيد رددتها
المربية خلال الطفولة . أترانى فى بداية فترة جديدة ، أم اننى
بلغت منتهى التدهور ؟

ومن الماضى انطلق لأحطم بالستقبل . واننى بلا تخطيط ولا
أفكار ولا مشروعات . . والأنسوا من ذلك اننى بلا طغوح . .
والسؤال الخالد « ما الفائدة ؟ » يفسع حاجزه البرونزى
دائما عبر كل طريق أشقه فى عالم الافتراضات . . ان السفر
لم يزدنى ابتهاجا ، ولا أدرى ان كان منظر الأطلال سيؤتى لى

بافكار عظيمة ، غير اننى اود أن أعلم مصدر السخط الذى يغرني - فى هذه الأيام - عندما أفكر فى أن أجعل نفسى انسانا مشهورا يتحدث عنه الناس . . لست أشعر فى قرارة نفسى بالقدرة الجسمانية على أن أنشر شيئاً ، وأن أجرى الى صاحب المطبعة وأختار الورق وأصحح البروفات الخ ، من الأفضل أن يعمل الانسان لنفسه فقط . ان الجمهور شديد الغباء ، فمن الذى يقرأ ؟ وماذا يقرأ ؟ وما الذى يعجب ؟

أجل ، عندما أعود سأستأنف - ولفترة طويلة كما أرجو - حياتى القديمة الهادئة ، جالسا امام مائدتى المستديرة بين المدفأة والحديقة . . سأعيش هناك كالعرب ، لا اعبأ بشيء . . لن اعبأ بأراء النقاد ، ولا بأى انسان على الاطلاق !

لقد رأيت « طيبة » يالوى . . . انها جميلة جدا . . وصلنا اليها ذات ليلة ، فى الساعة التاسعة ، وضوء القمر يغر اعمدة الآثار ، والكلاب تنبح ، والأطلال العظيمة البيضاء تبدو كالأشباح . . وكان القمر فى الأفق مستديرا تماما ، وقد بدا كأنه يلامس الأرض بلا حراك . . ولقد أوحى الينا الكرنك بحياة العمالقة ، فأمضيت ليلة عند قدمى تمثال (ممنون) ، يلتهمنى البعوض . . . ان للوغد القديم وجهها جميلا وهو مغطى تماما بالنقوش المكتوبة ومخلفات الطيور ، وهما الشيطان الوحيدان فى أطلال مصر اللذان يقدمان أى دليل على الحياة . واكثر الصخور تفتتا لا تنبت ورقة من الحشائش ، بل لا تنبت ان تهوى مسحوقة ، وكثيرا ما ترى مسلة طويلة مستقيمة بها بقعة بيضاء طويلة تمتد على طولها بأكمله كشریط من القماش أكثر عرضا عند القمة وأكثر ضيقا عند القاعدة . . وهذا من مخلفات العقبان التى تركت علامتها هناك عبر القرون . . انه اثر جميل جدا وله رمز عجيب ، وكأنما تقول الطبيعة لآثار مصر : « لن تنالى شيئا منى . . لن تفسدى بدور حشيشة

البحر . . . وسوف أضع مخلقاتي عليك !! «
 وفي (اسنا) شاهدت (كوجك هانم) مرة أخرى . .
 كانت حزينة ، وقد وجدت انها تغيرت ، فقد أصابها المرض . .
 كان يوماً حاراً ، مليئاً بالغمام . . وكان خادماً الحبشى ينثر
 المساء على الأرض ليبرد جو الغرفة . . وحدثت فيها طويلاً
 حتى أستطيع أن احتفظ بصورتها في ذهني . . وعندما أنصرفت
 قلت أننا سنعود في اليوم التالي ، ولكننا لم نفعل . . لقد
 استمرات كثيراً حرارة كل شيء ، وهذا هو الأمر الذي أجد له
 قيمة عندي ، وقد أحسست به في أعماقي ذاتها !

ورأيت البحر الأحمر عند (القصير) . . كانت رحلة
 استغرقت أربعة أيام للذهاب وخمسة للعودة ، على ظهور
 الجمال ، وفي درجة حرارة كانت تصل - وسط النهار - إلى
 ٥٠ درجة ، وهي حرارة لافحة إلى حد ما . . وكنت أشعر
 أحياناً بحنين إلى شيء من البيرة ، لاسيما أن ماء الشرب الذي
 كنا نتناوله من « قرية » من جلد الماعز كانت به آثار من رائحة
 العنزة ، فضلاً عن روائح الكبريت والصابون .

وكاننا نستيقظ في الثالثة صباحاً ، ونأوى إلى الفراش في
 التاسعة ليلاً . . كنت أميش على البيض المسلوق ، والطعام
 الخفاف المحفوظ ، والبطيخ . . انها حياة الصحراء حقاً . وعلى
 طول الطريق كنا نلتقي بجثث الجمال التي نفقت من الإرهاق
 . . وهناك أماكن تجدد فيها مساحات كبيرة من الرمال ، تبدو
 وكأنها تحولت إلى نوع من مساحات مبهدة ناعمة لامعة ،
 أشبه بأرض مخزن حبوب لدرس الغلال . . .

ولقد التقينا بقوافل كثيرة للحجاج ، تسعى إلى مكة .
 فان (القصير) هي المركز الذي يستقلون منه السفن إلى
 (بخدة) ، التي تبعد عن (مكة) بمسيرة أيام ثلاثة فقط . .
 وتسير جمال القوافل واحداً وراء الآخر أحياناً ، بينما تتقدم

— أخيانا أخرى — في صف عريض . . ورأينا في (القصير)
حجاجا من أعماق افريقيا ، زنوجا فقراء بدأوا السير منذ عام ،
بل ومنذ عامين . كذلك رأينا قوما من (بخارى) ، من التتر ،
يرتدون القلنسوات المدببة . . أما صائدو اللؤلؤ ، فلم نر
سوى زوارقهم . وينطلق في كل زورق رجلان ، أحدهما
يجدف ، والآخر يفوص اذا ما خرجا الى عرض البحر . .
وعندما يعودان ، ينساب الدم في نزيف من اذني وأنف وعيني
الغواص . .

اما تساؤلك عن اى تغير قد يكون اعترانى خلال فراقنا ،
فلا اظن يا ((لوى)) ان هذا التغير — ان وجد — كان في
صالحى ! . . بل احسبني فقدت الكثير من جراء تشتت بالى ،
وشرود فكرى ، حتى لقد اصبحت فارغا جدا ، عقيما جدا .
اننى اشعر بذلك في اعماقى . ولعل هذا راجع الى ان جنسدى
في تحرك مستمر ، وليس بوسعى ان اقوم بعملين في آن
واحد . او ربما اكون قد خلفت ذكائى ورائى ، مع ثياب
البيت ، واريكتى الجلدية ، ومجتمعكم يا سيدى العزيز . .
وبالنسبة لى ، يلوح اننى اذا اخفقت في اول عمل اضطلع به
بعد عودتى ، فسألنى بنفسى في البحر !

القاهرة في ٢٧ يونيو ١٨٥٠ :

ظاهرة نفسية غريبة تنتابنى . لقد عدنا للقاهرة ، ومنذ
قرأت رسالتك الرائعة ، اشعر باننى اتفجر بفيض فكرى .
بدأت القدر تغلى فجأة ! اشعر بحاجة ملحة الى الكتابة !

اشكر لك زيارتك لأمى يا « لوى » ، فانت الوحيد الذى
تستطيع أمى ان تتحدث اليه عنى كما تحب ان تتحدث ، لانك
الوحيد الذى تدرك هي انه يعرفنى حق المعرفة . هكذا ينشأ
قلبها .

ما أحسبك تصدق انبى و « مكسيم » لا تكف عن الحديث
 عن مستقبل المجتمع . وفي رأى انه من المحقق انه سينتظم
 على نسق أية كلية ، ان قريبا أو بعيدا . وسيقوم المدرسون
 بوضع القواعد ، وسيكون كل أمرىء فى زى موحسد ، ولن
 تعود الانسانية الى ارتكاب الأعمال الهمجية . ولكن ، أى أسلوب
 تعس هذا ! أى افتقار الى الشكل ، والتناسق ، والروح !

من مذكرات فلوير فى نهاية الرحلة

الاثنين اول يوليو ١٨٥٠ - القاهرة :

آخر يوم لى فى القاهرة . تبادل الوداع . ان حزنى
 للرحيل يجعلنى أدرك مدى القبضة التى لا بد اننى أحسست
 بها يوم وصولى . .

لن أرى الفلاحين مرة أخرى . . لن أرى طفلا يستحم فى
 قناة الساقية الصغيرة . .

بولاق : وداع من البحارة . . كان الانفعال الحقيقى بالأمس
 عنتما ودعنا « الرئيس ابراهيم » وعائقناه . .

لبيتنا الأخيرة . . ظللنا مستيقظين حتى الثالثة صباحا
 . . طلع الفجر وبتات الديكة تصيح . . ان شمعنى ما زالت
 مضية ، ولكنى اتفصد عرفها ، وعيناي تلتهبان . . انبى اشفر
 بنويات من القشعريرة فى الصباح . . سوف نغادر القاهرة بعد
 أربع ساعات . . يا لله كما يقول العرب !

من الاسكندرية الى بيروت : ركبنا السفينة « الكسندرا »
 فى الساعة الواحدة ، ولكنها تعطلت . لن نرحل قبل الغد .
 رحلت السفينة وأنا نائم . . لم أستطع ان أرى أرض
 مصر وهى تختفى عند الأفق ، قبل ان أودعها الوداع الأخير . .
 ترى هل أعود مرة أخرى ؟!



العهد!

قصة للكاتب السويدي
فريدريش دورنمات

عرض وتلخيص : الدكتور حسين مؤنس

• • هذه القصة • •

احسب اننى عرفت فريدريش دورينمات **Friederich Duerrenmatt** قبل قرابة العشرين سنة • •

كنا طلابا في كلية الآداب بجامعة زيوريخ . ما كان احد منا يعرف - اذ ذاك - من سيكون ماذا • • • كنا نتجمع في مشرب صغير ، لا يزال قائما في ردهة الكلية . مشرب لا يتسع لكثر من عشرة اشخاص ، ولكنه كان في نظرنا - اذ ذاك - شيئا عظيما • •

هناك كنا نلتقى بعد دروس الادب الالمانى التى كان - ولا يزال - يلقيها الاستاذ « اميل اشتايجر » . وكنت آخذ بطرف في المناقشات الادبية ، التى تدور بين هذا الاستاذ وتلاميذه . والذكر اننى اثرت - ذات مرة - موضوع الملحمة الشعرية ، والى اى مدى يمكن ان تعتبر مادة تاريخية • • لا اذكر الان ماذا كان رايى اذ ذاك ، او ماذا كان راي الآخرين • •

ولكنى اذكر اننى كنت اعرف ان « فريدريش دورينمات » هذا من قرية [كونولفنجين] في مقاطعة (بيرن) ، وهي قرية قضيت فيها بعض الوقت . وذات مرة ، قال لى استاذ الاجتماع - وهو اليوم استاذ لنفس المسادة في جامعة كولونيا - ان هذا الشاب « دورينمات » كتب مقالا ممتعا في مجلة « الفيلت فوخه » ، وانه من الممكن ان يكون كاتبا كبيرا يوما من الايام .

وهناك « فريدريش دورينمات » كاتبا كبيرا بالفعل • • كبرى مسرحياته « زيارة السيدة العجوز » ، مثلت على مسرح النيا بكل لغة • • وروايته - التى انبثقت منها اليوم - اصبحت من معالم القصص فى عصرنا • •

والرجل اليوم فى السابعة والاربعين من عمره ، فقد ولد سنة ١٩٢٣ ، وكان ابوه قسما پروتستانتيا • • ودرس الآداب واللاهوت فى جامعة زيوريخ ، ثم اتصرف بعد ذلك للتأليف • •

ومن حسن الحظ انه لم يجر فى طريق « الابنوردية » او اللامعقول ، بل اتشا اديه على الاصول التى تواضع الناس عليها ، منذ عرف النساس الانشاء الادبى ، وهى ان يكون الكلام واضحا مفهوما ، والافكار اتسانية او مقبولة عند الناس على الاقل • • ومن ثم فانت لا تعانى معه ما تعانى مع الكثيرين ممن يكتبون فى عصرنا ، وبخاصة « صمويل بيكيت » و « كارل تسوكماير » ، ومن اليهما • •

سخرية من القصص البوليسى المرتب المحكم

القصة التى اقدمها اليوم ، قصة بوليسية . .

هكذا تبدو فى ظاهرها ، وبهذا ينطق القسالب الذى صيغت فيه . ولكنها - فى الحقيقة - تأخذ بعد البداية مباشرة ، اتجاهها يختلف كل الاختلاف عن اتجاه ما نعرف من القصص البوليسى . . تتحول الى دراسة نفسية ، مأساة رجل بوليس وقف عاجزا أمام جريمة لا حل لها . . هنا تشبه القصة - من يعيد - « يوميات نائب فى الأرياف » لتوفيق الحكيم . . هى الأخرى تبدأ وكأنها قصة بوليسية ، لتتجول بعد ذلك الى صورة انسانية بالغة الإبداع . . قصتنا هذه تبدأ بجريمة قتل . . صبية فى الرابعة عشرة من عمرها ، اعتدى عليها وحش آدمى ، ثم قتلها وشنوه جسدها بموسى ، وألقى جثتها فى غابة ، ومضى دون ان يخلف أدنى أثر . عقب هذا تبدأ التحقيقات والبحوث البوليسية المعروفة ، دون نتيجة . . بقية القصة هى حكاية مفتش البوليس الذى جن جنونه أمام هذه الجريمة ، وزصد حياته لكشف سرها ، وما زال يلح فى ذلك ، حتى تعظم هو نفسه وضاع عمره بدا . .

انها - فى حقيقتها - سخرية من القصص البوليسى . . « دوزينمات » نفسه يقول هذا ، على لسان مفتش آخر ، فى حديث له مع أحد الكتاب . . يقول مفتش البوليس : « المشكلة اننا نجد فى كل هذا القصص البوليسى ، الذى يكتبه الكتاب ، لونا مختلفا من التزييف » يتكرر ويتردد . . اننى لا أشير بذلك الى ما يحدث عادة فى هذه القصص ، من القبض على المجرم وانزال العقاب به . . فمثل هذه الأساطير الخرافية اللطيفة ضرورية فيما أظن . انها من ذلك الطراز من الأوهام الذى يعين على حفظ النظام ، مثلها فى

ذلك مثل العبارة الورعة التي تتردد قائلة ان الجريمة لا
تثمر، في حين أن أى انسان لا يحتاج الى أكثر من تأمل
احوال المجتمع ، ليتبين مقدار الحقيقة في هذا القول ! . .
لا بأس عندي في أن أسام بهذه الأوهام ، ولو لجسد صالح
المهنة التي تقوم بها ، فان كل جمهور من الناس ، أو من
دافعي الضرائب ، له الحق في أن يستمتع بأبطاله ونهاياتهم
للسعيدة . . ونحن ، رجال البوليس ، وأنتم - الكتاب -
ملزمون بأن نقدم للناس هذه المتعة . . هذا كله لا يضايقنى ،
أما الذى يثير غضبى ، فهو التصميم القصصى - Plot -
الذى تقدمونه ، هنا يبلغ الزيف الى أن يصبح بالغ الجفوة
وقلة الحياء .

« اننا لا نستطيع أن نحل معضلة جريمة كما نحل معادلة
رياضية ، لأننا لا نملك كل المجهولات اللازمة . . في العادة
نعرف قليلا من هذه المجهولات ، وأقلها أهمية بصورة خاصة
، ان الحظ - ذلك الشيء الذى لا يمكن حسابه أو تقديره -
يلعب دورا أكبر مما ينبغى له . قواعدنا مبنية على الاحتمالات
والاحصائيات ، لا على العلل الحقيقية . انها تنطبق على
الواقع ، في صورة عامة فقط . . ان أدواتنا لكشف الجرائم
غير كافية ، وكلمة جاولناضبطها وتحديدتها ظهرت قلة
كفايتها بصورة أوضح !

« ولكنكم - معشر المشتغلين بالأدب - قلما تظفون
بذلك . لا تريدون أن تشغلوا أنفسكم بهذا اللون من الطقات
الذى يفر من بين أصابعنا دائما . . فعلا من هنا ، تنشئون
عالما تستطيعون التحكم فيه . . هذا العالم ربما كان كمالا
. . من يدري ؟ . . ولكنه - أيضا - اكلوية ! . .

« لا بد لكم من التحلى عن ذلك الكمال المقتبل ، اذا كنتم
تريدون أن تصلوا الى شيء . . اذا كنتم تريدون أن تصلوا

الى حقائق الأشياء . . بدون هذا ، ستجدون انفسكم متخلفين دائما ، تلهون بالأعيب أسلوبية . . ! »
 : هذه السطور تلقى ضوءا كاشفا على طبيعة القصة التي سنقرأها . انها جريمة ملفزة ، من النوع الذي يواجه رجال البوليس في معظم الحالات . . جريمة دون مفاتيح ، جريمة لا نجد فيها هذا الترتيب الهندسى ، الذي نجده عند «كونان دويل» و «جورج سيمينون» ، «وأجاثا كريستى» و «ايان فيمنج» . . الترتيب الجميل المحكم ، الذي يهدى رجل البوليس الذكى الى الحقيقة خطوة خطوة . .
 في قضيتنا هذه ، لا يوجد مفتاح واحد . ومعنى ذلك ان رجل البوليس لن يستطيع ان يخطو خطوة واحدة . . في مثل هذه الجرائم - وهي الفالبية - يستمر التحقيق والبحث حينما ، ثم تقفل القضية ، تدرج تحت ما يسمونه : « جنایات من فعل مجهول » . . ثم تتراكم من ورائها القضايا والجرائم ، لأن الدنيا لا تتوقف . قد ينكشف سرها يوما ما ، ولكن شيئا لا يحدث اذا لم ينكشف !

ولكن ، ما الذى يحدث اذا اصر واحد من رجال البوليس على ان يكشف امر جريمة من هذا الطراز ؟ . . اذا اراد ان يواجه جريمة طبيعية ، من النوع الذى يحدث كل يوم ، واصر على ان يصل الى سرها ؟ . .
 ذلك هو الموضوع الطريف الذى يعالجه « فريدريش دورينمات » فى هذه الرواية . .

اشياء تحتاج الى تفسير

نبدأ القصة اذن من اولها . .
 « دورينمات » رجل واقعى جدا ، يقص عليك ما يريد فى بساطة تحسب معها ان يده كفنان لم تتدخل فى العمل

قط . . في نهاية القصة فقط تشعر أن بساطته تلك هي عمله كفنّان ، وأنها في ذاتها عمل عسير كل العسر . . .
 لقد سمع القصة من رئيس سابق لإدارة البوليس في (زيورخ) ، ثم أصبح هذا الرجل نائبا في البرلمان ، لقيه في مدينة (خور) - أو (كوار) كما يقولون - بالفرنسية - وهي عاصمة مقاطعة (الجراويندن) أو (الجريزون) . . .
 كان الكاتب قد ذهب الى هناك ليلقى محاضرة عن فن القصص البوليسية ، ولم يحضر المحاضرة الا نفر قليل . . . وكان الجو باردا ثقيلًا ساكنا . . . وعاد الى فندقه ، وهناك لقي رئيس البوليس السابق هذا . . . شربا وسهرا معا ، يحكم الضرورة ، لا عن استلطاف أو مودة ، واتفقا على أن يعودا في الغد الى زيورخ ، في سيارة رئيس البوليس .

في الغد ، مضت بهما السيارة من (خور) نحو زيورخ . . . في الطريق وقفا عند محطة بنزين . . . على مقعد في تلك المحطة جلس رجل مسن ، مهمل الهيئة ، يبدو لأول وهلة أنه في حالة غير طبيعية . . . تبينا بعد قليل أنه صاحب المحطة فطلب إليه مدير البوليس ، أن يملأ الخزان وينظف درع الريح الزجاجي . . . ثم مضيا الى مشرب ملحق بالمحطة . . . كل ما في المشرب يثير الإشمئزاز . . . المنظر العام ، والسينة التي تعد المشروبات ، والفتاة التي تخدم ، ثم . . . القهوة التي شرباها !

كان يبدو بوضوح أن رئيس البوليس يعرف جميع أولئك الناس ، وهم يعرفونه . . . وعندما خرجا ، وجدنا الرجل جالسا كما كان . . . بعد أن ملأ الخزان ونظف زجاج السيارة . . . انصرف رئيس البوليس دون أن يحييه . . . وقبل أن تتحرك السيارة بهما ، رأياه يهرج يده في شبيه جنون ويقول :

.. سانتظر .. سانتظر .. سيأتي .. لا بد ان يأتي !

رجل مثالي .. وفرصة جميلة ضاعت !

كان لا بد ان يكشف مدير البوليس لرفيقه عن سر هذه المحطة ، والمشرب الملحق بها ، والرجل الجالس هناك . ولم يكن الكاتب بحاجة الى ان يطلب اليه ذلك ، فقد كان من الواضح انه يريد ان يتكلم ..

قال ، بعد مقدمة يسيرة : هذا الرجل العجوز اسمه « ماتاي » . كان من انجبه مفتشى البوليس عندي .. كان يحمل درجة « كابتن » ، لائتسا في قوات البوليس في المقاطعات - نحمل القابا عسكرية . كان رجل قانون مثلي ، حصل على دكتوراه في القانون من جامعة (بازل) ، وكان ميالا الى الوحدة بطبعه .. كان شديد الدقة في عمله ، يسير في حياته كآلة مضبوطة ، حتى سماه زملاؤه .. « مات در اوتومات » .. (ماتاي الاتوماتيكي) .

وكان دائما حسن الهيئة والزي ، مستعدا للعمل .. ولم يكن يدخن او يشرب . كان يأخذ عمله اخذا عنيفا جعله قليل الحظ من حب زملائه ، ورغم توفيقه الكبير . كان عزبا يتفق وقته كله وجهده كله في عمله .. ولم يكن له بيت ، فكان يقيم في غرفة ١٤ في فندق (اوريان) ، في ميدان (بلقي) .. لم اسمعه مرة واحدة يتحدث عن حياته الخاصة ، ربما لانه لم تكن له حياة خاصة .. كان عنيدا شديد العزم ، لا يكان يتعب من العمل ، ولا مكان للعاطفة في تفكيره او عمله !

قبل تسع سنوات - وهو التاريخ الذي بدأت فيه مأساة « ماتاي » هذا - كان قد وصل الى القمة في عمله . كان مساعدي الاول ، وكان يديهيا ان يخلفني ، فقد كنت اذ ذاك في اواخر سنوات عملي ، وكان من الطبيعي ان يفكر ولاية الامور فيمن يخلفني . ولكن فكرة ترقية « ماتاي »

مكانى كانت تلقى بعض الصعوبات فهو - أولاً - لم يكن ينتسب
 لأى حزب سياسى . . ولم تكن هذه بالعقبة الكبيرة . أما
 العقبة الحقيقية ، فكانت نفور رجال البوليس منه ، وخوفهم
 من أن يسوقهم سوقاً عنيفاً . . ومن هنا فقد كان من المنتظر
 أن يعترضوا عليه . . وفى نفس الوقت ، لم يكن من الممكن
 للجهات العليا أن تتجاهل هذا الاعتراض ، ولم يكن ممكناً
 كذلك أن تتخطى أكفاً الموجودين . ولهذا فعندما تلقت حكومة
 الاتحاد فى (برن) طلباً من حكومة (عمان) أن تندب لها رجلاً
 كفياً ليقوم بتنظيم البوليس ، بدأ هنا الطلب كأنه استجابة
 لدعوة حارة . فأسرعت إدارة مقاطعة زيوريخ باقتراح اسم
 « ماتاي » ، ووافقت كل من (برن) و (عمان) . وسر
 « ماتاي » بذلك ، فقد وجد فيه فرصة لتغيير الجو والقيام
 بعمل جديد . وافضى اليأس باله - بعد أن انتهى عقده مع
 حكومة الأردن - فن يعود إلى بوليس (زيوريخ) ، بل سيرتب
 أمر معاشه ، ثم يذهب إلى (الدانمرك) ليعيش مع أخت له
 تزمت هناك .

وتمت الإجراءات على عجل . . رتب « ماتاي » شؤونه ،
 واتم الاتفاق مع (الأردن) ، ولم تبق إلا أيام قليلة ليسلم
 عمله لهنزى - المساعد الثانى بعده - ثم تمضى به الطائرة ،
 عابرة جبال الألب والبحر الأبيض . . كان هذا هو المنتظر ،
 عندما دق جرس التليفون - فى مركز البوليس - فى عصر يوم من
 تلك الأيام . كان المتحدث تاجراً متجولاً يسمى « جونتن » ،
 يعرفه « ماتاي » معرفة جيدة ، إذ كان قد ارتكب - قبل
 ذلك - جريمة أخلاقية حققها « ماتاي » ، وأدين فيها الرجل ،
 فقصى فى السجن فترة . .

تكلم الرجل من قرية صغيرة بجوار زيوريخ ، تسمى
 (ميچندورف) ، وقال إنه عشر على جثة صبية مقتولة ، فى
 غابة قريبة من البلدة .

وكان من الطبيعي أن يتضايق « ماتاي » ، فهذه هي أيامه الأخيرة في العمل ، وما كان يحب أن ينفقها في تحقيق جناية منفرة مثل هذه ، ثم ان المطر كان ينهمر مدرارا ، والجو مع ذلك حار خائق ، مع أننا كنا في النصف الثاني من ابريل . . ولكنني كنت متفيا في (برن) ، فلم يكن لـ «ماتاي» مفر من أن يتولى القضية ، ريثما أعود على الأقل . . فطلب الى (جونتن) أن يبقى حيث هو ، ثم اتصل بمركز البوليس في القرية ، فرد عليه الجاويش « ريزن » ، وأبلغه أن المطر غزير في (ميجندورف) أيضا . فأمره بأن يراقب التاجر المتجول ، وكان جالسا ينتظر في مشرب الهيرش (الوعل) . ثم أخطر وكيل النيابة ، والملازم « هنزي » ، والسائق فيلر . . وبعد قليل ، انطلقت بهم السيارة نحو القرية الصغيرة .

جريمة بشعة ورجل تحوم حوله الشبهات

عندما وصل الركب الى القرية ، تبين « ماتاي » أن الأمر بمراقبة « جونتن » كان خطأ جسيما ، فان (ميجندورف) قرية صغيرة ، أهلها فلاحون ، لا يخطر ببالهم إلا أن هذا البائع المتجول هو المجرم . . وأهل القرى ينفرون عادة من الباعة المتجولين ، الذين يتنقلون من قرية الى أخرى ، حاملين حقائب في أيديهم ، يبيعون أشياء صغيرة ، مثل شفرات الحلقة والصابون وأربطة الأحذية والعطور والدبابيس والفرش وما أشبه ذلك . . فلم يكذ الخبر ينتشر ، حتى أخذ الفلاحون يفلون الى المشرب ، ويتجمعون ببابه ، ونذر الشر بادية في أعينهم !

وذهب « ماتاي » ومن معه الى الغابة ، مصطحبين البائع المتجول .

هناك وسط كومة من ورق الشجر والحطب ، تمددت صبية في نحو الرابعة عشرة من عمرها ، كان نصفها الأسفل

عاريا ، وقد عبث المجرم به عبثا فظيما ، ورقبتها مجروحة - بل مدركة - في أكثر من موضع . من حسن الحظ أن الوجه سلم من هذا التشويه ، ولكن المنظر كان بشعا ، لا يستطيع تثبيت النظر فيه إلا رجل بوليس معتادا على هذه الأشياء .

غير بعيد من ذلك الموضع ، وجدوا نصف الرداء الأسفل مخضبا بالدم ، ملفونا ومدفونا في التراب وورق الشجر . . . وأجريت الأعمال الروتينية بغاية الدقة ، وأخذت مجموعة كبيرة من الصور الفوتوغرافية . وقام الطبيب الشرعى بالكشف الأول ، ودون ملاحظاته . . ثم أذن وكيل النيابة بنقل الجثة الى أقرب مستشفى : وتبين أن القتيلة تسمى « جريتلى موزر » . ابنة وحيدة لزوجين من الفلاحين ، يعملان قرب الغابة .

ذهب « ماتاي » وأبلغهما الخبر . . كان مشهدا عنيفا مؤثرا ، ولكن لم يكن من ذلك بد . . وبعد أن أفاقت الأم من صدمة الخبر المفاجيء ، نظرت اليه بعينين قويتين - تجملت فيهما لوعة الألم المضى - وقالت :

- من القاتل ؟

- سأبحث عنه . .

- أتعد بانك ستفعل ذلك ؟

- أعد يا « فراو » موزر . . (أى السيدة موزر)

- وتقسيم على هذا بخلص روحك ؟

- أقسم . .

- تستطيع ان تذهب الآن ! . .

وابتعد « ماتاي » في سرعة . . وقبل أن ينحرف ويختفى عنه منظر البيت ، سمع صرخة عالية شقت الفضاء ، أعقبها انفجار بكاء . . ذلك ألم الوالدين ! . . اهتز كيانه كله ، وزاد

اسراعاً في خطوه ، وقد قرر ان يبذل كل ما يستطيع ، ليجد ذلك المجرم .

في سورة الغضب هم الناس بالفتك بالمتهم

عندما عاد « ماتاي » الى (ميچندورف) واجه اولى مشاكل هذه القضية المحزنة . . كان أهل القرية وما جاورها من الحقول ، قد سمعوا بأن « جونتن » - البائع الجوال - له يد في هذه القضية ، على صورة ما . . فقطعوا بأنه المجرم ، خاصة وقد وجدوا ان البوليس رصد رجلاً لمراقبته ، وأخذوا يتجمعون شيئاً فشيئاً أمام المشرّب ، الذي جلس هذا المسكين فيه . . ثم وصلت سيارة البوليس الكبيرة ، ورأى رجال البوليس ان الأفضل ان ينقل « جونتن » اليها . . وتم ذلك ، وجلس الرجل في السيارة بين اثنين من رجال البوليس ، فلم يشك رجال القرية في أنه المجرم ، وأحاطوا بالسيارة وطالبوا بتسليمه اليهم ليقتضوا منه . وحاول « ماتاي » ووكيل النيابة ورجال البوليس ان يصرفوهم عن ذلك دون جدوى . لكن غضبهم يشتد دقيقة بعد دقيقة ، وأقبل ناس من القرى المجاورة ليشدوا أزرهم . وبدأ بوضوح ان الأمر سينتهي بهجومهم على السيارة ، وأخذ الرجل وشنقه على شجرة . . وأخيراً لجأ « ماتاي » الى اقناع أولئك الناس بسخف ما يريدون ، في بلد تعتبر العدالة الكاملة من أسس الحكم الرئيسية فيه . فأعلن اليهم أنه مستعد لتسليم « جونتن » اليهم ، اذا تعهدوا بأن يعاملوه معاملة عادلة ، وتحملوا مسئولية ذلك . ودارت بينه وبينهم مناقشة تعتبر نموذجاً لما يجرى بين أهل سويسرا من المناقشات في شئونهم العامة ، وهي مناقشات تضع يدك على سر سلامة نظم هذا البلد وامتانتها ، فهي قائمة على أساسين لا ثالث لهما : الحرية والمسئولية . . حرية كل مواطن في ان يقول ما يريد ، وفي

أن يستمع الناس له في احترام . . ثم مسئولية كل مواطن عن كل عمل يقوم به ، وهي مسئولية كاملة لا تعرف التجزئة أو التحايل أو القاء بعضها على الغير .
في نهاية هذه المناقشة ، تبين الناس أنهم لا يستطيعون تحمل مسئولية ما يطلبون ، وأن المعقول والعاقل هو أن يترك الأمر للبوليس ، وتتحرك سيارة البوليس أخيراً . . ويودع « جونتن » السجن ، ويبدأ التحقيق .

هنا هو كل ما عرفه المتهم عن الجريمة

قص « جونتن » على المحققين ما كان يعرفه . . قال انه زار قرية (ميچندورف) ، وباع أشياء قليلة ، يوم الحادث . . ثم حان وقت الغداء ، فمضى بسفط طعامه الى حافة الغابة الصغيرة ، لياكل ويستريح قليلاً ، ثم يعود الى القرية . ولكنه فضل أن يذهب الى مشرب « الهيرش » فذهب ، وأكل ، وشرب قدراً كبيراً من البيرة . ثم ذهب الى الغابة ، واستلقى على حافتها ونام . .

ولم يدرك ما الذي أيقظه قبل أن يستتم نومه . . خيل إليه انه سمع صوتاً مفرعاً ، أشبه بصرخة مكتومة ، أو صراخ طائر . . ظن انه صوت بومة . . أفاق قليلاً ، ثم غلبه النوم . ثم يطل نعاسه هذه المرة ، اذ أيقظه سكون الضابة الرهيب حوله . . وعاد الى ذاكرته الصوت المفرع الذي سمعه .

شعر بشيء من الخوف فنهض ، ونفرت نفسه من فكرة العودة الى (ميچندورف) ، وقرر العودة الى المدينة عن طريق الغابة ، متحاشياً الجاوشين « ريزن » ، وهو رجل البوليس في (ميچندورف) . . وفي نقطة ما من الغابة ، عثرت قدماه بشيء فوق . . ورعب اذ تبين أنه وقع على جثة قتيلة مغطاة بأوراق الأشجار .

لم يضيع وقتاً . . فأسرع الى (ميچندورف) ، واتصل

ببوليس زيوريخ ، وتحدث الى الرجل الذي كان يعرفه هناك ، وهو « ماتاي » . وذلك كل ما يعرف عن الموضوع .
 كان احسابى أن الرجل لا علاقة له بجريمة القتل . .
 حقا أنه كان شخصا منفرا لا يدعو الى الثقة ، ولكن هذا شعور شخصى . . ومهما ساء الظن فيه ، فهو لا يحمل طابع القتلة أو السفاكين . . ولكن الاجراءات هي الاجراءات ، وكان علينا أن نسير فيها الى النهاية . .

هنا كان ينبغي أن تنتهى القصة

خصصت خيرة رجالى للقضية . . كان المفروض أن يتولاها الكابتن « هنزى » ، الذى تقرر ان يخلف « ماتاي » ، ولكن هذا الأخير كان خير رجالى ، ولم أجد مفرا من الاعتماد عليه فيها ، الى أن يرحل .

وهكذا أخذ الرجل يعمل فى القضية وهو شبه مستقيل من عندنا ، ووظيفته الجديدة تنتظره فى عمان بعد أيام !
 وقمنا بكل البحوث الممكنة . لم ندع شبرا من أرض الغابة دون بحث . . حللنا كل المواد التى عثرنا عليها . . أبلغنا كل المصايغ و « جراحات » السيارات ، لعل قطعة ثياب أو سيارة - عليها بقع دم - تصل اليها . . درسنا تاريخ البنت وخلقها وعاداتها ، وسبب ذهابها الى الغابة وما أشبه . . ولم نصل الى شيء !

هذه معضلة بلا مفاتيح ، بل بلا مفتاح واحد !
 ولكن لأمر ما ، كان الجميع ميالين الى اتهام « جونتن » . . استجوبه « هنزى » مائة مرة ، حتى أنهك قواه ! . . وفى مثل هذه الحالات ، لا بد أن يقع تضارب فى الأقوال . . وحينما يقص الانسان نفس القصة مائة مرة - الأولى فى الساعة الثانية بعد الظهر ، والأخيرة فى الرابعة صباحا - لا يمكن ان تتفق القصتان تماما . .

وكان « هنزى » رجلا عنيفا بغيضا .. رجوناه مائة مرة أن يقلع عن أساليبه ، ولكن أمثاله لا يسمعون النصيح .. انه شاب من أسرة موسرة ، تزوج فتاة من أسرة غنية أيضا ، ووصل الى أن يحل محل « ماتاى » وهو بعد فى حوالى الخامسة والثلاثين .. شاب كهذا لا يؤمن الا بنفسه ، وكلما يفيد من تجارب الآخرين .

وفى مساء اليوم التالى ، اتانى باعتراف الرجل ! نعم اعترف (جونتن) هذا بأنه هو القاتل ! ..
ولم أصدق أنا ، ولم يصدق « ماتاى » ذلك . فذهبنا وسألنا الرجل ، فأكد اعترافه .. كشفنا عن آثار ضرب أو سوء معاملة .. لا شيء !
أمام هذا ، لم يكن فى استطاعتنا الا أن نسلم بصحة الاعتراف ..

كسب « هنزى » نصرا باهرا ، فى أول قضية تولاها . ولم يطرب « ماتاى » للأمر .. هز كتفيه فى انكار وصمت .. على أى حال ، كان عمله معنا قد انتهى فعلا ، وبعد غد تحمله الطائرة الى (الأردن) ..
وفى مساء يوم الاعتراف نفسه ، فوجئنا بأن « جونتن » انتحر .. وجد البائع الجائل مدلى من حبل فى غرفة سجنه .. شنق نفسه !
على هذه الصورة انتهت القضية نهائيا ، بالنسبة لى ، ولبوليس زيوربخ ، وللقضاء ..

ولكن ماتاى أصر على الوفاء بعهده

ولكنها — مع الأسف الشديد — لم تنته بالنسبة لـ « ماتاى » !
.. شىء أشبه بالجنون تمكن من هذا الرجل .. كان مؤمنا بأن « جونتن » لم يفعل شيئا ، وإن المجرم لا يزال طليقا !
قبل سفره بيوم ، ذهب الى (ميجندورف) ، وحضر

جنازة الفتاة القتيل « جريتلى موزر » ، ورأى رفيقاتها في
موكب الجنازة .. وامتلات نفسه بالغيظ والخوف ..
الغيظ من المجرم الوضيع - الذى عدا على فتاة بريئة -
والخوف من أن يعتدى على فتاة أخرى من رفيقاتها !
وهذا حق .. ما دام مثل هذا الرجل طليقا فالخطر
قائم .. وقد سبق أن ارتكبت - قبل هذه - جريمتان
مماثلتان ، في مكانين على نفس الطريق من (زيوريخ) الى
(خور) .. الأولى فى (سلان جالن) ، والثانية فى (شفيتس)
وفى اليوم التالى ، ذهب الى المطار ليرحل الى عمان .

فى المطار ، وجد عشرات البنات الصغيرات ، اتت بهن
مدارسهن فى رحلة للمطار .. وأحس وهو يتأملهن أنهن فى
خطر ، وأنه لا يليق به أن يتركهن تحت رحمة مجرم فاتك
ويبقى ..

فجأة ، الفى سفره ، وعاد الى زيوريخ !

وجاء ليقابلنى .. جاء ليقول انه يريد أن يسير فى
القضية ! .. اعتذرت له ، فهذه قضية انتهت رسميا ، ثم انه
لم يعد يعمل معنا ، فليس من حقه أن يتولى قضايانا ! ..
اضف الى ذلك ، أن هناك اتفاقا رسميا بين حكومة الاتحاد
السويسرى وحكومة الأردن ، وهذا الاتفاق ينبغى أن ينفذ ..
لا بد أن يترك هذا الجنون ويرحل !

ولكنه لم يترك هذا الجنون ، ولم يرحل .. قرر أن
يتعقب القاتل لحسابه الخاص .. قرر أن يتعقب قاتلا وهميا
فى رأى ، لأن القاتل الحقيقى اعترف ووقع على اعترافه ، ثم
انتحر !

لم يكن فى يد ((ماتاي)) خيط واحد مفيد ، ولكن هوسه
بالعثور على القاتل جعله يتصور أن فى يده خيطا ..
ذهب الى (ميچندورف) وتحدث الى صبية كانت صديقة

لـ «جريتلى موزر» ، فعرف منها أنها رسمت صورة ما - بالقلم الرصاص - قبل أن تموت بأيام . . وقد رسمت في الصورة ماردا ، وقنafd ، وتيسا . . وشيئا يشبه سيارة كبيرة سوداء ! بعد تفكير طويل ، أتانى ليقول ان المارد يرمز الى ان المجرم رجل ضخم ، وان القنafd ترمز الى نوع من الشيكولاتة كان القاتل يعطيه لـ « جريتلى » ، وأن التيس هوشارة مقاطعة (جراوبندن) . . ومعنى هذا ، أن القاتل يركب سيارة سوداء كبيرة ، في (الجراوبندن) . . وحيث أن الجرائم الثلاث ارتكبت على نفس الطريق ، فلا بد أن القاتل يمر خلاله بسيارته !

ولكى يعثر عليه ، اشترى محطة بنزين ، ليعمل فيها بنفسه ويراقب . .

ثم تبني فتاة في هيئة « جريتلى موزر » لتكون طعاما للقاتل !

لم يكن يشك في أن القاتل سيقع قريبا . . ولكن القاتل لم يقع ، لا قريبا ولا بعيدا . . ظل « ماتاى » ينتظر وينتظر . . كانت المحطة تغل ربحا لا بأس به .

وطول النهار ، كان « ماتاى » يظل واقفا على قدميه يتأمل كل سيارة سوداء كبيرة . . وعلى مقربة منه كانت تجلس الفتاة الصغيرة - التى تشبه « جريتلى » - واسمها « آن مارى » .

ومرت شهور ثم سنون . . و « ماتاى » ينتظر ! ومع طول الانتظار المقيم ، وتركيز أفكاره في نقطة واحدة ، أخذت شخصيته تنحل شيئا فشيئا . . وأهمل مظهره ، فلم يعد يحلق ذقنه أو يعنى بشيابه . . وأهمل النظافة ، فكان لا يكف عن القاء أعقاب السجائر على الأرض . وكان قد أخذ أم الفتاة الصغيرة ، لتعمل في بيته .

وحسبت المرأة انها أعجبته، فلما عرفت أن غرضه كله ان يتخذ ابنتها طعاماً لقاتل ، أحقرته !.. وكانت من أصلها امرأة سوء ، فمضت تسيء معاملته ، ثم أنشأت من ماله ذلك المشرب الذي رأته . ولم يحفل « ماتاي » بشيء من ذلك . . . وصل الى الحال التي رأيناها فيها - في أول القصة - دون أن يشعر . . . كان لا يزال ينتظر القاتل . . . وقبل أن احال الى المباحث بأيام ، استدعته سييدة تسمى « شروت » الى مستشفى زيوريخ ، لأسمع اعترافاً خطيراً منها وهي على فراش الموت . . .

وانتهيت الى الغرفة التي رقدت فيها المحتضرة . قصت على قصة سخيفة تملأ مجلدات . . . وكان الى جانبها قس يقول بين الحين والحين : « اختصرى قصتك يا فراو شروت ، والا فلن يتسع الوقت لاعطائك البركة الأخيرة ! » وبشق النفس ، عرفت أن هذه السيدة تنحدر من أسرة من أسر مدينة (بازل) الموسرة ، وانها من أسرة « شتيتزلى » ذات الصيت البعيد . . .

وكان لها زوج مجنون يسمى « البرت » . . . كان جنونه يخيل له ان السماء تأمره بقتل فتيات صغيرات ، ذوات شعر ذهبي ، و « جونلات » حمراء . . . قتل باللوسى فتاة تسمى « سونيا » - في مقاطعة (سان جالن) - وأخرى تسمى « ايقيلي » في مقاطعة (شقيتس) ، وثالثة تسمى « جريتلى » في (ميچندورف) .

وقالت المرأة ان هذا المجنون المنكود أراد أن يقتل رابعة ، كانت تجلس الى جانب محطة بنزين ! . . . بنتاً جميلة لطيفة ، ذات شعر أصفر و « جونلة » حمراء . . . بالضبط من النوع الذي يحبه البرت . . . ولكنها - أى زوجته التي تحتضر الآن - غضبت وانبتته تانيا شديداً ، فأخذ سيارته

« البويك » السوداء ، وخرج بها فاصطدم بشجرة ومات !
وقبل أن تغيب الشمس ، كانت المرأة قد أسلمت
بالروح ..

وختم رئيس البوليس السابق كلامه قائلا : « أنت ترى
أن « ماتاي » كان على وشك أن يضع يده على القاتل ..
كان تقديره كله صحيحا ، لولا مصادفة سيئة .. لولا تائب
السيدة لهذا المجنون ! ..

« ولقد قصصت ذلك كله على « ماتاي » .. اصغى الى
وهو شبه غائب عن الوجود كعهده ، ثم ابتسم ساخرا مني ..
تصور أنني اكذب عليه ! .. وقال دون أن يلتفت الى : سيعود
القاتل يوما ما .. ساقبض عليه ! »

ترقب في اول مارس القادم

العدد الجديد الفاخر من

مطبوعات كتابي

محتويا على اروع قصة طويلة

للكاتب العالى « ستيفان زفايج »

رواية انسانية خالدة ، ستقرأها وتعيد قراتها مرات

اقوى واعظم من « انا كارنينا » !

احجز نسختك من الآن

الأميريكا

مسرحية للأديب الأمريكي الأشهر
"لانجستون هيوز"



MULATTO (A PLAY BY : LANGSTON HUGHES)

كيف استطاع الزواج أن يفرضوا أدبهم ؟

• لم يكن للزواج في أمريكا - حتى العشرينات من هذا القرن - أدب ولا مسرح .. اللهم الا ما كان البيض يكتبونه عنهم .. واللهم سوى أدوار « مصطنعة » ، كان البيض يؤدونها على المسرح ، وهم يصيغون بشرتهم بالسواد ! .. فاذا قدر لزوجي أن يبلغ من المعرفة ما يمكنه من الكتابة عن آمال قومه وآلامهم ، كان الناشر يمتنعون عن نشر ما يكتب .. لأنهم بيض ! واذا استطاع زوجي أن يضع مسرحية عن حياة بني جلدته ، وما يلقون من عنف ، كانت المسارح تعرض عن أخراجها .. لأن المسيطرين عليها من البيض !

بيد أن الزواج ظلوا يجاهدون ، حتى استطاعت أعمالهم الأدبية والمسرحية ، أن تفرض نفسها على صحف البيض ، ودور نشرهم ، ومسارحهم ..

والسرحية التي نلخصها لك في الصفحات التالية ، مثال لصراع الزواج - عن طريق الأدب والفن - لكي يصلوا بأصواتهم الى آذان الإنسانية .. وقد عالج « لانجستون هيوز » فكرتها في بادئ الأمر في « قصيدة » ، فرضت نفسها على مجلة « ساترداي ريفيو » - إحدى المجلات الأدبية الأمريكية الكبرى - فنشرتها في صيف ١٩٢٦ تحت عنوان « الخلاص » ، (أي الذي يجري في عروقه مزيج من الدم الأبيض والدم الأسود) .. وقوبلت القصيدة بنسجة في الدوائر الأدبية والسياسية على السواء ، فما لبثت أن تحولت الى مسرحية ، تفضح أبشع ألوان الظلم الذي يوقعه البيض - في الجنوب الأمريكي - بالزواج .. واضطر « لانجستون هيوز » الى أن ينشر عددا من المسارح الزنوجية ، لفرض مسرحيته ، وغيرها من مسرحيات بني جلدته ..

واستطاعت المسرحية - التي ظهرت أيضا تحت عنوان « الخلاص » Mulatto - أن تثير ضجة أشد مما أثارته القصيدة .. وقوبلت من النقاد وذوى الرأي باهتمام كبير ، إذ أجمعوا على أنها بمثابة « انداز » من الزنوج الى البيض في أمريكا ، في وقت لم تكن فيه حركة الزواج - للمطالبة بالحقوق المدنية - قد اتخذت شكلا جديا ..

وبلغ من الاستقبال الذي استقبلت به المسرحية ، أن اضطرت مسارح (برودواي) الكبرى - في سنة ١٩٢٥ - الى أن تتنازل عن صلفها ،

وتعرضها ، رغم كونها « زنجية » الكاتب ، و « زنجية » الموضوع . . وقد ظلت تعرض هناك عاما كاملا . . كما أوحى نجاحها بأن تصاغ في قالب « أوبرا » باسم « الحاجز » - The Barrier - عرضت في سنة ١٩٥٠ . . ولقد ترجمت « الخلاسى » - أو « ابن الجارية » - الى عدة لغات . . ومع ذلك ، فانها لم تنشر في كتاب بلغتها الاصابية ، الانجليزية ، قبل سنة ١٩٦٢ ، عندما بدأ الادب الزنجى والمسرح الزنجى يفرضان وجودهما . . وعندما اخلت قضية الزواج في أمريكا تتطور الى حركة جديدة عنيفة ، تنذر بحرب أهلية . .

مؤلف المسرحية

• أما « لانجستون هيوز » ، المؤلف ، فقد ولد في عام ١٩٠٢ ، في مدينة (نيويورك) ، بولاية ميسورى - وهي أحد معاقل البيض المغالين في العنصرية ، في أمريكا - وقضى معظم أعوام صباه في (لورنس) ، بولاية كنساس . . واستطاع ان يظهر بقسط من العلم ، مكنه من ان يجد « متنفسا » لما كان يتفاعل في أعماقه من مشاعر وآلام ، وهو يرى الملونين في أمريكا يعاملون معاملة دون معاملة الحيوانات !

وقد بدأ « لانجستون هيوز » حياته الأدبية شاعرا . . وتنقل بين (نيويورك) و (باريس) ، حيث ذاق علقم المهانة ، ومرارة الفقر . . وفي أوائل العشرينات ، بدأ اسمه يتالق كشاعر ، في (نيويورك) . . وفي سنة ١٩٢٦ ساهم في اصدار مجلة زنجية فصلية - أي تظهر كل ثلاثة أشهر - اطلق عليها اسم « النار » . . وهو اسم كان كافيا في حد ذاته لأن يصور ما يعتمل في نفوس الزنوج . .

وشجعه نجاحه كشاعر ، على ان يؤلف مسرحيات . . لكنه قضى شطرا كبيرا من الثلاثينات من هذا القرن ، في علاج مشكلة اظهار مسرحياته - ومسرحيات بنى جلدته - الى النور . . وعمد في سبيل ذلك الى انشاء عدد من المسارح للتمثيلات الزنجية !

واستطاع ان ينتصر . . واضطرت الاوساط الأدبية والفنية في أمريكا الى تقديره . . ومنذ سنوات قلائل ، توفي « لانجستون هيوز » بعد ان ترك لقومه - وللادب الانسانى عامة - ثروة أدبية . . وقومية !

تمهيد

تكاد مشاهد هذه المسرحية تنحصر في مكان واحد ، هو قاعة الجلوس ، في قصر سيد ضيعة ، في ولاية (جورجيا) -

احدى ولايات الجنوب الأمريكى - حيث يتخذ التمييز العنصرى أشنع صورة ، فيمعن البيض فى انزال ألوان الخسف بالسود !

والحجرة واسعة ، فخمة الأثاث - برغم قدم قطعته وطرارها - وتنتهى مؤخرتها بابا كبير يفضى الى المدخل الأمامى للقصر . . بينما يوجد - الى اليسار - سلم رخامى عريض ، يفضى الى الطابق الثانى . . ويجواره باب يفضى الى حجرة المائدة والمطبخ . . يقابله - الى اليمين - باب حجرة المكتب . .

ومن هذا الباب الأخير ، يبرز - عند رفع الستار - الكولونيل « توماس نوروود » . . رجل قوى البنية - برغم أعوام عمره الستين - بادی الغلظة والظفرسة ، سريع الانفعال . . ونسمعه ينادى « كورا » ، فى صبر نافذ ، فتجيبه - من أعلم السبيل - زنجية فى حوالى الخامسة والأربعين من عمرها . .

وقبل ان تبدأ الأحداث ، يحسن بنا ان نذكر ان « كورا » تشرف على قصر الكولونيل « نوروود » ، وانها خليته - أو على الأصح منخلته - منذ ماتت زوجته ، قبل ثلاثين عاما . . وقد أنجبت له أربعة أولاد أو خمسة ، لن نرى منهم خلتين الأحداث سوى ثلاثة ، هم : ويليم ، أكبر الأبناء . . وهو شاب بدين ، وادع ، ضعيف الشخصية ، أسمر اللون - وسط بين البياض والسواد - وله ابن صغير يلزمه . . ثم « سالى » ، وهى فتاة فى السابعة عشرة من عمرها ، يظلب عليها البياض ، حتى ان من لا يعرفها لا يتصور ان أمها زنجية . . ثم « روبرت » ، وهو شاب فى الثامنة عشرة من عمره ، قوى البنية ، متين البنیان ، خفيف البسمة الى درجة انه يبدو أقرب الى الصفرة منه الى السواد . . وهو مزهو بأنه يشبه

« الكولونيل » الى حد كبير ، ويأبى أن يحمل واخوته لقب « لويس » عن أمهم ، بدلا من « نورود » عن أبيهم . . . ويرفض ما درج عليه البيض في ولايات الجنوب الأمريكى من نبذ للأولاد الذين ينجبونهم سفاحا من الزنجيات .

الفصل الأول

وعندما يبرز « نورود » من حجرة المكتب ، تكون الساعة الثانية من بعد ظهر أحد أيام الخريف . . . ويصبح الكولونيل في « كورا » أن تعد ابنتها للرحيل ، والا فاتها القطار . . . فتجيبه بأن الفتاة قادمة فورا ، وان أخاها « روبرت » قد وعد بأن يقلها الى المحطة ، في السيارة « الفورد » ، ولكنه ذهب الى المدينة ، ولن يلبث أن يحضر . . .

نورود : من أذن له بالذهاب في السيارة الى المدينة ، في وسط النهار ؟ . . . لقد اشتريت « الفورد » لتستخدم عندما أمر باستخدامها . . . فإذا شئت أن يستقيم العيش لابنك الأصغر العنيد هذا ، فيحسن به أن يصفى لأوامرى . انه لا يزيد على أى بغل أسود في هذه الضيعة . . . وعليه أن يعمل كالآخرين . . . ولست أقبل مثل هذا التصرف من شخص تحت امرتى . . . كيف ينطلق بالسيارة الى المدينة ، في وسط النهار ، بعد أن أمرته بأن يحنى ظهره في العمل في زراعة القطن . . . كيف يستطيع تالبوت (المشرف على الزراعة) أن يحمل السود الآخرين على العمل ، اذا كان هذا الولد يضرب لهم أسوأ المثل ؟ . . . لأنه ابنك ، ولأنى كنت أحقق فلرسسلته للمدرسة خمس سنوات أو ستا ، يظن أن له حقا في الامتياز على سواه ، ويتصرف - منذ عاد في الصيف - وكأنه يملك المكان ؟

وتحاول « كورا » أن تهدئه ، وهى خائفة مشفقة ، تتعلق عواطفه في ذلة الجارية ، وكأنها لم تشاطره الفراش قط . . .

ولكن الكولونيل يخرسها في كل مرة ، ليواصل غضبه .
نورود : لن أسمح لابن زنجي لي - أو لك ، أو لنا - بأن يعصى أوامري . . . لقد أرسلته الى الحقل ليعمل ، وسيبقى في الضيعة الى أن أسمح له بالرحيل . سأخبر « تالبوت » بأن يسوطه ، اذا دعا الأمر . . . ولو لم يكن ابنك ، لذاق السوط منذ أيام . . . اصعدى وعجلى برحيل « سالى » ، ولو نطقت بكلمة أخرى فلن ادع ابنتك الجميلة نصف البيضاء تسافر . . . ان ابنك لم يتعلم في الكلية سوى الوقاحة ، وسيمكث هنا ويعمل لحسابي فترة ، قبل أن يعود الى اية مدرسة . . .
كورا : اجل يا سيدى الكولونيل توم . (في تردد) ولكنه صغير يا سيدى ، وقد انهار حين قلت - فى الأسبوع الماضى - انه لن يعود للكلية !

ويرمقها الكولونيل بنظرة آمرة ، فتمسك عن الكلام ، ثم تعود فترجوه - فى تल्प - ان لا يستسلم للغضب ، اشفاقا على صحته . . . ولكنه يصرخ فيها أن تصعد ، وان ترسل « سالى » لتودعه . . . ويروح يدرع المكان فى انفعال ، ثم يجلس فى مقعد وهو يزجر ، ويدق جرس الخدم فى عنف . . . ويرعان ما يقبل « سام » - وهو عبد شيخ يقوم بخدمة الكولونيل - معتبرا عن تأخره بأنه كان ينقل حقائب « سالى » . . .

نورود (غاضبا) : الزوج يخدمون الزوج ، ولا أجد من يخدمنى فى بيتى . . . أخضر لى ويسكى وصودا ، وثلجا فى كوب !
سام : سمعا يا سيدى . (يتراجع بظهره) عفوا ، ولكن . . . طلبت كورا أن أسألك اذا كنت تسمح بانزال الحقيبة القديمة - التى أعطيتها لسالى - خلال الباب الامامى ، اذ لم نستطع انزالها على السلم الخلقى الضيق .
نورود (مغضبا) : لن تلبثوا أن تطلبوا الدخول والخروج

من الباب الامامى . . ان الزنوج يزدادون جراءة في هذا الجزء من البلاد . . لا تخرج الحقيبة من الباب الامامى !
سام (في خبث وكيد) : لقد رايت روبرت يستخدم الباب الامامى . .

نورود : رايته ؟ . . ساكسر عنقه اذا فاجأته !
وتهبط سالى في استحياء ، وتقرب من ابيها . . وتبدو بشرتها بيضاء ، وان كانت قسماتها زنجية . . ويرمقها الكولونيل دون ان يتكلم ، فتخطو في خوف ، وتشكره على سماحه بعودتها الى المدرسة . .

سالى (وكأنها تلقى خطابا) : انك جد كريم معنا معشر الملونين ، وامى تقول انك خير رجل ابيض في جورجيا . .
ولقد كنت كرئما مع اولادك . . اقصد معنا . نحن الصغار الملونين ، فسمحت لاختي ولى بالذهاب الى المدرسة . . وفي العام القادم ، ساذهب الى مدرسة المعلمات . . اتسمح بهذا يا كولونيل توم ؟

نورود : اعتدلى في وقوفك . . اراك كبرت . هل تعلمونك في المدرسة ان تكونى حسنة الاخلاق : وان لا تخافى الممل ، وان تحترمى البيض ؟

سالى : اجل . . وقد علمونى الطهو والحياسة كذلك .

نورود : لقد جعلت هذه المدرسة من اختك طاهية ماهرة . . وتقول « كورا » انها تعمل الآن بفندق في شيكاغو ، فيحسن ان تلحقى بهما في الشمال بمسد عام او اثنين . . ستكونين قد اصبحت امرأة نامية ، ولا يليق وجودك هنا .

سالى (متراجعة ، مأخوذة) : ولكنى اريد الاقامة مع امى ، والتدريس في المدرسة الخاوية هنا ، فهى لم تحظ بمعلمة منذ خمس سنوات . .

نورود : لا تطمعى في هذا . . لن يكون للمدرسة معلمة ،

فالقطن يعلم أبناء الزوج ما فيه الكفاية . . انما احضرت
معلمة للمدرسة يوما ، لسبب واحد ، هو تعليم اولاد « كورا »
. لا أدري لماذا فعلت ذلك ، فما من أحد من البيض - في
هذه البقاع - فعل هذا ! . . احسبني لم أستسغ أن أرى
اولاد « كورا » يعملون هنا ، راسفين في الجهل ، كبقية هؤلاء
الزوج التافهين . . أو لعلى لم اشأ أن يضع « تالبوت » عينه
على البنيتين . . ويسرني انك وبيرتا اتجهتما اتجاها سليما . .
ولقد حاولت أن اساعد اخويكما كذلك ، ولكن « وليم » ثقيل
العقل كالثور ، وان كان صالحا للعمل . . أما ذلك
ال « روبرت » فوقح ، صلب الرأس ، أصفر اللسان . .
وساقصم عنقه يوما ، أو اسلط عليه « تالبوت » !
ويستولى الجزع على الفتاة ، فتتوسل اليه الا يضع
اها تحت رحمة « تالبوت » ، ناظر الزراعة الأبيض ، الذي
يسوم الزوج العذاب . .

نورود: اتملين على ما أفعل ؟ (في صرامة) سأضعك
بظهر يدي . اذا لم تخرسى ! (يسمع صوت السيارة) ها هوذا
« بيرت » . سيقلك للمحطة ، ويحسن - خلال الطريق - أن
ترشديه . . وقولى له اننى أريده بمجرد عودته !
وتدخل « كورا » حاملة حزمة من قماش ومظلة . .
وبينما تستحث الفتاة على الرحيل ، تفد سيارة أخرى ،
فتقول « كورا » للكولونيل ان صديقه « هيدجنز » - وهو
من رجال السياسة في المقاطعة - قادم لزيارته . . وتدفع
ابنتها نحو الباب الأيسر ، لتغادر القصر من باب الخدم ، بينما
تسرع فتفتح الباب الأمامى للزائر . .

ويدخل « هيدجنز » ملقيا بثقل جسمه البدين على سائق
سيارته « موز » الزنجى ، الذى ينساعده على المشى لأن
« الروماتيزم » يكاد يقعه . . ويحاول الكولونيل مداعبته

صديقه ، ولكن هذا يبدى تجمها ، ويصرف سائق سيارته .
ثم يشرع في الشكوى من وقاحة ((ذلك الزنجى الأصفر ، ابن
((كورا)) ، لأنه صادفه في الطريق ، فلم يفسحه له ، بل تعهد
ان يسبقه بالسيارة ((الفورد)) ، مثيرا الفبار في وجهه !!

ويحتقن وجه « نورود » غضبا ، وهو يعتبر لصاحبه .
هيدجنز : لن يبقى هذا الولد هنا طويلا ، بسبب تصرفاته
هذه . لن يمكنه البيض في البلدة من البقاء . . ولدا رايت من
وأجنبي ان أخبرك . ان البيض لن يحتملوه طويلا . . لقب
كسروا باب سجن الشرطة أربع مرات ، لينتزعوا من ورائه
زنوجا ويشنقوهم على الأشجار . . ويحسن ان تمنع فتاك
الأصفر من الذهاب الى المدينة ، بعد الذي فعله هذا الصباح !
كان « بيرت » قد ذهب ليتسلم صمامات للراديو ، وصلت
في طرد باسمه - الى مكتب بريد البلدة - بحيث يدفع قيمتها
قبل الاستلام ، وقد دفع القيمة ، ولكنه وجد الصمامات
مهشمة داخل الطرد ، فحاول اعادتها الى عاملة البريد
البيضاء ، واسترداد ما دفع . .

هيدجنز (مستأنفا سرد القصة) : وبدأ زنجيك في الجدل ،
ففزعت مس جراى ، وصرخت تستدعى بعض العاملين في
المكتب - وألقوا ببيرت في الخارج . (في صلف) ان هذا ال
« بيرت » في حاجة الى ضرب مبرح ، لجداله مع امرأة بيضاء
. . واثارته الفبار في وجهى وأنا قادم . . ان هذا البغل الأصفر
لا يعرف مركزه ، وهذا ذنبك أنت يا توم ، اذ أرسلته ليتعلم !
وبينما يعده « نورود » بالويل والثبور للعبد المتمرد ،
بعضى زائره في سرد « مخالقات » الشاب المنكرة :

هيدجنز : . . انه يقود السيارة في الشوارع الرئيسية
للبلدة ، ويأبى ان يقف الاى انسان ، أبيض كان أو أسود .
ويأبى لتجرى ، وما لم تلب طلباته بالسرعة التى تلبى بهنا

طلبات البيض ، ينصرف وهو يخبر كاتب المتجر بأن نقوده ليست أقل قيمة من نقود البيض . . وفي الأسبوع الماضي ، قلل - وهو يقف أمام متجرى - أنه ليس زنجياً خالصاً ، وإن لقبه ((نوروود)) وليس ((لويس)) كبقية أسرته . . وإن جزءاً من مزارعك سيؤول إليه عندما تهوت ! . . (ويستطرد ، و ((نوروود)) مذهول) أنك لتعلم أن هذا لا يقابل بالتسامح في هذا الجزء من (جورجيا) ، ولا في أى مكان آخر في الجنوب ، فإن سماع مثل هذا الكلام يفسد الزوج الآخرين . وكل هذه العناية المنطلقة من ((الراديو)) - عقب الحرب - عن الحرية والديموقراطية . . لماذا ياختمها الزوج على أنها لهم ؟ . . يا للجنون ! أنهم يتحدثون عن الحقوق المدنية ! . . اننى أندرك يا نوروود . يحسن أن تقضى بفلك هذا عن هنا ، اننى أحدثك بهلوء ، وأنا أبصر ما وراء الحاضر . . أنك تتساهل مع زوجك . . وهامى المقاطعة بأسرها تعانى من وقاحة زوج يتلقون دروساً من عبيدك . والقوم متدمرون من هذا . . ولعله السبب فى عدم ترشيحك رئيساً للجنة البلدة منذ سنوات !

نوروود (مهتاجاً) : ربما ! . . اللعنة على الزوج ! . . كل شيء هنا ينتج زنونجا ، زنونجا ، زنونجا . . ولا عجب فى أن أهل الشمال يسمون هذا الجزء « الحزام الأسود » !
ويحاوّلان الانتقال بالحديث الى موضوع آخر ، ولكن « نوروود » يظل مهتاجاً . .

هيدجنز : يحسن بك أن تتزوج ثانية يا توم ، وتحضر امرأة بيضاء ، انى هذا المكان الموبوء . بوسع امرأة بيضاء أن تساعدك فى تسيير الأمور . . لا شيء فى بيتك سوى السود . والرجل بينهم لا يابث - فى أعفائه - أن يصبح رخنوا ، متساهلاً . . فضلاً عن أنك تغيثى مع امرأة سوداء ! . . اعزف

أنا جميعا فعلنا مثل هذا . . وما كنت أعرف أن بوسع المرء مضاجعة امرأة بيضاء ، حتى تجاوزت سن العشرين ! ! . . .
وكم من فتاة سمراء أنجبتهما طفلا في شبابه . ولكن
الرجل يحتاج - في بيته - إلى « زوجة » ، وليس إلى امرأة
سوداء !

ويسلم « نورود » بهذا ، ولكنه يرى أن فرصة الزواج
قد فاتته . ثم يتجهان بحديثهما نحو الزراعة ، والمحصولات ،
والقطن . . ولا يلبثان أن يخرجوا معا ، وتبادر « كورا » ،
فتحضر للكولونيل عصاه وقبعته . وبينما يأمرها في خشونة
بأن تستبقى « ابنها الأصفر » في انتظاره حتى يعود ، تبدي
هي اشفاقها عليه من الانسياق وراء الغضب !

وما أن يخرج الرجلان ، حتى تنادي « كورا » ابنها
الأكبر « وليم » ، لثريه - باعتزاز وزهو - مفرشا طرزه
أخته « سالي » بيديها . . وتفطن - فجأة - إلى أن « بيلي »
حفيدها قد جلس في مقعد « الكولونيل » وأخذ يتأرجح ،
فتهيب به أن ينزل عنه ، لأنه مقعد الكولونيل المفضل . .
بيلي : ان الكولونيل جدي . اليس كذلك ؟ اليس هو
جدي الأبيض ؟

وليم (ينترعه عن المقعد) : سأهيب جسمك بالسوط
إذا لم تخرس ! . . (ويلاحظ جزع أمه) انك لتعرفين أنني لم
أقل له هذا يا أمه . . (يرت) هو الذي يقول لأهل الضيعة
كلها - منذ عودته من (اثلاثتا) - أننا أولاد الكولونيل نورود .
ويأتي إلى كوخى فيقول لبيلي وماريبيل ان لهما جها أبيض . .
انه بذلك سيثير المتاعب لأولادي . . هو نفسه تسبب في إنباء
نفسه حين جلده الكولونيل يوم بالسوط منذ عشر سنوات . .
وهو الآن في مازق ، لا يستطيع العودة للمدرسة ، كما كان

منتظرا لو أنه تعقل . . . اننا لا نستطيع خداع البيض ،
والكولونيل لم يحب ((بيرت)) منذ ضربه أول مرة !

كورا (مستفرقة في الذكريات) : كلا . . . ولم يجاؤل بان
يظهمه . . . كان « بيرت » اذ ذاك في السابعة من عمره . . . وجرى
الى الكولونيل توم ، في حظيرة الخيل ، عندما كان الكولونيل
يضطرب ثلة من كبار البيض ، لرؤية جواده . . . يا الهى ، ان
هذا الطفل طائش دائما ! جرى الى الكولونيل ، وأمسك به ،
وضاح فيه أمام البيض : ((كورا تقول ان الغداء جاهز يا بابا))
. . . لم يكن قد ناداه ((بابا)) من قبل قط . . . ولست أدري من
اين جاء بهذا النداء ! - فركله الكولونيل تحت سنابك الجياد .
وبعد انصراف البيض ضربه بلا رحمة ، حتى خلت أنه أوشك
أن يقتله . . . وغضب على - أنا الأخرى - عدة شهور ، قائلا اننى
أعلم أولادى انه أبوهم . . . كان « بيرت » - حتى ذلك الحادث -
أحب الأطفال الملونين إليه !

ولكنه لم يعد يحبه - بعد هذا الحادث - فأرسله الى
المدرسة ، ليغيب عن عينيه أكثر من ست سنوات . . . ولولا
توسلات « كورا » وتضرعاتها ، ما دعاه هذا الصيف للمجى . . .
وليم : لقد كبر خلال هذه المدة ، وازداد شبيها بالكولونيل
. . . بل انه يرى نفسه رجلا أبيض . . . انظرى ما فعل جين
وويل ، ولم يكن قد رأى الكولونيل ست سنوات . . . لقد بسط
إينه يده ليصافحه ! . . . تماما كما يفعل البيض . . . وأشباه
الكولونيل عنه وابتعد . . . لست ألومه ، فهو لم يعتد مثل هذه
الأفعال من الملونين . . . لست أدري ما دهمى « بيرت » ! . . .
انه يابى أن يقول « نعم يا سيدى » ، و « كلا يا سيدى »
للبيض . . . سأله ((تالبوت)) فى الصباح ، عما اذا كان يفعل فى
الحقل ، فأجاب : ((كلا)) ، ومضى . . . واستشباط الأبيض
غضبيا ، حتى كاد الزيد الأبيض يطغخ من فمه . . . ولو لم يكن

الفتى ابنك ، لأطاح برأسه . . لقد حاولت نصحه ، فضحك وقال أننا مجرد زواج مدعورين ، أما هو فليس زنجياً . . انه ابن « نورود » ، ونصف أبيض . . وسيتصرف على هذا الأساس .

وتبدي « كورا » جزعها وحيرتها ، اذ قرر الكولونيل ان يبقى « بيرت » في الضيعة كأي زنجي ، ولا يرسله الى المدرسة ، ليريه « حقيقة لونه » ! . . وتبكي « كورا » وهي تشعر بقلّة حيلتها ، وتتوجس من ان شراً قد يحدث ، فقد رأت القمر - في المنام - مخرجاً بالدم ، والطريق المحيط بالقصر ملطخاً بالدم كذلك . . وما ان تسمع صوت السيارة عائداً ، حتى تهيب بـ « وليم » ان يدعو « بيرت » اليها . . ويخرج « وليم » من الباب الأيسر ، بينما يدخل « بيرت » من الباب الأمامي ، فيحتضن أمه ، ويطمئنئها الى سفر ابنتها . . واذا يرى عينيها مخضلتين بالدموع ، يسألها عما بها . .

كورا : لماذا لا تشفق على يا بني ؟ . . ألم أخبرك الا تأتي من الباب الأمامي أبداً ؟ . . ما الذي أصابك اثناء وجودك بالمدرسة ؟

روبرت (في جد تخالطه الدعابة) : اليس هذا قصر أبي ؟ . .
الست ابنه ووريثه ؟

وليم (مقبلاً من اليسار) : أين بيرت ؟ لم أجده . . (يراه فيسأله) كيف دخلت الى هنا ؟

روبرت (مبتسماً) : ان للبيوت أبواباً أمامية . . لماذا أقيمت الأبواب الأمامية أيها الزنجي الرعيد . . اننا - على أية حال - نصف زواج ، وساتصرف كما يليق بنصفى الأبيض ، لا نصفى الأسود !

ويحاول « وليم » ان ينبهه الى الأوضاع في (جورجيا) ، والى تعسف البيض وقسوة نقيمتهم . .

روبرت: سأبقى هنا فترة ، ريثما أعلم بعضكم كيف يفكرون
مثلى . . وحتى يضيق الكولونيل الشيخ بوجودى . . ولكن ،
لا مزيد من الانحناءات للبيض . . لن ينحنى لهم روبرت
نورود . . فى ضيعة أبيه !

وتبتهت الأم لجرأته ، وتحاول أن تردعه . . ويمضى أخوه
يجادله ، ولكنه يجيب بأنه يعيش فى ولايات الشمال ، حيث
رأى الرنوج متساوين مع البيض . . ولعب فى فريق كرة القدم ،
وحظى بتكريم الناس . . وينصرف « وليم » وهو غاضب . .
وتخلو الأم بالابن المتمرد . .

كورا : لقد اشتغلت وأذلت نفسى لأحمل الكولونيل على
إيقالكم فى المدرسة . . ولكنك ، دون اخوتك ، تأتى مفعم الرأس
بالعناد ، ملهى الفم بكلام فارغ لى وللبيض ولكل امرئ . .
انك تعلم انه ليس ملون أن يتحدث بمثل هذا الكلام الى
البيض . . فما بالك بالكولونيل وبالشيطان تالبوت ؟ انهم لن
يتحملوك ، ولن تدفع الثمن وحدك ، بل سيدفعه كل ملون فى
هنا المكان . .

ويتطرق الحديث الى ما جرى - فى الصباح - فى مكتب
البريد . .

روبرت : . . . أحسب انه لولا « الفوردي » لتكاثروا على ،
وضربونى حتى الموت . . وكان هناك بعض فتية من الرنوج .
لم يتحرك واحد منهم . . يا للاندال ! . . انهم مند حضورى
يرددون لى « يقلد لهجة الرنوج » « ليس لك أن تجادل البيض . .
انك أحمق ! » . . ولعلنى أحمق حقاً ، ولكنى لم أعد الى
هنا برغبتي . . ليس هناك فيما هناك - سوى بيض يملأهم
الشر ، ورنوج يملأهم الجبن ! (فى حرارة) أنا زنجى يا أمهات !
. . . اننى نصف أبيض ، ووالدى الكولونيل ، أغنى رجل فى
المقاطعة ، ولن أتقبل ما يلقاه الرنوج ، ولو من أبى نفسه ! . .

أبظن اننى ساعمل في الحقل ، تحت الشمس ، و « تالبوت » فوق رأسى وكأتنى من العبيد الذين كانوا يساقون الى العمل مغلولين بسلسلة ؟ .. اننى « نورود » ولست عامل حقل زنجيا !

وتحاول أمه أن تشنيه عن عنساده .. لكم تضرعت الى الكولونيل لكى يرسله للدراسة ، ولكن الدراسة لم تعلمه سوى افكار لا مجال لها في ولاية (جورجيا) ..

كورا : لسنا في الشمال ، حيث تعيش أختك الكبرى كالبيض .. انها لا تعمل في مطبخ باجد الفنادق ، كما يظن الكولونيل ، وانما هي تعمل على الآلة الكاتبة . وكذلك تدرس « سالى » الآلة الكاتبة لتلحق بها ، ولكن أباك لا يعلم ، لأن المفروض أن لا تتعلم الزنجيات سوى الطهو والعمل الشاق .. اننى أعمل في هذا القصر طيلة عمرى ، وعندما ماتت زوجة الكولونيل ، جئت للاقامة وأنجبتكم .. ولقد أكرمنى الكولونيل وسمح بأن تناموا هنا معى وأنتم صغار ، وأرسلكم للمدرسة .. ما من أبيض في هذه المقاطعة يفعل هذا .. اذا عاد الكولونيل بعد قليل - وتحدث اليك ، فكن كما ينبغى ، وكلمه بأدب الملونين ، فأنت لست أبيض ..

روبرت (في غضب) : ولست أسود كذلك .. تأملينى ! ألا ترىنى أشبه أبى ، ألسنت صافى اللون مثله ؟ ألسنت أشهب العينين مثله ؟ (ينبعث من الخارج صوت سيارة) .

كورا (مضطربة) : أسرع يا بنى ! تعال الى المطبخ !

روبرت : لن ألوذ بالمطبخ . اليس هذا بيتنا ؟

وتسرع الى الباب الأيسر وهي تهيب به أن يتبعها ، ولكنه يقترب من الباب الأمامى .. ويدخل الكولونيل ، فيكاد يصطدم به ، ويقف برهة يحملق فيه مأخوذاً ، بينما تلتصق « كورا » بالباب الأيسر .

الكولونيل (مشيراً لباب الخدم) : اخرج من هنا !
روبرت (في شبه ابتسام) : البست تريد أن تتحدث إلي ؟
 لن اخرج من هذا الباب !
 يرفع الكولونيل عصاه ، فيصمد الفتى ، ويشد قامته ،
 بينما يشحب وجه الكولونيل ، ويهاجمه في كبرياء . . ثم
 ترتعش يده ، ويحتبس صوته وهو يأمره بالخروج . . وفي
 شمم يتجه الفتى الى الباب الامامي ويخرج ، بينما يسرع
 الكولونيل - في هياج - الى خزانة صغيرة ، يتناول منها
 ميسكاً ، ويتجه نحو الباب الامامي ، ولكن « كورا » تلحق به
 وتمسك بذراعه . .
كورا : انه ابنك يا توم ! (تجثو ببطء على ركبتيها) تذكر
 . . انه ابننا !

الفصل الثاني

المشهد الأول

نفس المنظر السابق ، وقد بدأ « سام » - خادم الكولونيل
 الخاص - يخرج من باب حجرة المكتب ، فيقف قليلاً ، ليؤكد
 للكولونيل انه سيستحث « كورا » على احضار « روبرت » . .
 ويخطو المسرّح فترة . . ومن الخارج يتناهى نباح كلب ،
 وغناء الزنوج وهم يعودون من الحقول ، مع غروب الشمس
 . . ثم تدخل « كورا » من الباب الايسر ، يتبعها « روبرت » .
 وتتلطف الام الى ابنا ، وهي تحاول اقناعه بأن يترفق
 بالكولونيل ، فيعامله كما يعامله الجميع . . وتذكر أن الرجل
 رفض تناول اي طعام ، وأنه جد مستاء . .
روبرت : الساعة السادسة الآن . . لعله يريد ان اوفيه
في حجرة المكتب ؟

كورا : انك لتعلم انه لا يسمح لزنجى سوى سام ، بدخول

هذه الخجرة . . الا تعقل يا روبرت ؟ . . اننى قضيت ثلاثين عاما في هذا البيت ، ولم ادخل هذه الخجرة مرة . . قف هنا وانتظر حتى يخرج منها ، وساصعد الى الطابق الاعلى . . فلا تحنقه بالله ! . . وافق على ما يقول ، فانى مشفقا عليك يا بنى من تصرفاتك . . لا تثر هياجه يا حبيبى ، الاننى احبك . . ولانك تعلم ما يصيب جميع الملونين هنا ، حين ينحرف مزاجه . . روبرت : حسنا يا اماء ! (في ثورة) كان هذا هو اليوم المتحدد لسفرى للدراسة . . لماذا لم يف بوعدده لى ؟

وتهنىب به « كورا » ان يصمت ، وتوصيه بالا يثير الكولونيل ، ثم تصعد السلم . . وتذق ساعة مؤذنة بالربيع بعد السادسة . . وتختنق الشمس امام زحف الليل . . ويفتح باب خجرة المكتب ، ويقبل « نورود » منحنى القامة ، شاحب الوجه . . ثم يرى الفتى فيشد قامته فجساة ، وتقفز الى وجهه معالم السيطرة والسيادة ، ويخطو نحوه . . ويقف الفتى بين الخوف والتحدى . ثم يعود « الرجل الأبيض » الى مقعد بجوار منضدة ، الى اليمين ، فيجلس ، ويشعل سيجارا ، ثم يتكلم بلهجة تجمع بين التسامح والازدراء :

نورود : لا اريد ان اضربك كما ضربتك وانت طفل ، فقد اقتلك اذا لمستك مرة اخرى . . اننى ادير هذه الضيعة منذ خمس وثلاثين سنة ، لم اضطر خلالها الى ان اضرب زنجيا في عمرك . . كما اننى لم اضرب احدا من اولاد « كورا » سواك ، فالباقون من العقل بحيث يتحاشون ان يرونى ، واذا خاطبونى تادبوا كما ينبغى . . ابدا لم امان متاعب من الزنوج ، فهم يفعلون ما اقول ، او ما يقول « تالبوت » . وانا اعطيهم فرصة ، فاذا جاء المحصول جيدا ، كافاتهم ، وتركت لهم حرية التصرف فى نقودهم كما يحلو لهم . كذلك اتيح الاولاد « كورا » فرصا لم يحظ بمثلها احد من الملونين هنا . . ارسلتكم الى المدرسة ،

وتركت « بيرتا » ترحل الى الشمال حين اتمت دراستها ،
وكذلك ستفعل « سالى » ، ومنحت أخاك « وليم » البيت الذى
يقيم فيه ، عندما تزوج ، كما أعطيه أجرا عن عمله ، وأساعده
عندما يحتاج . وأرسلك للكلية لتتعلم . . . وكنت اعترم
اعادتك اليها ، ولكنى لن أنفق على أسود - ولا على أبيض ،
لو كان لى ابن أبيض - يتصرف كما تتصرف . اننى أريد أن
اعرف ماذا دهاك ! . . أن من عادتى أن أقول للناس ما يجب
أن يفعلوا ، وليس أن أناقش أمورهم . . هل جئنت ؟ . . إذا
كان ذلك ، أمرت بحبسك ، وإذا لم تكن جئنت ، فعليك أن
تغير مسلكك ، والأ فلن يكون مقامك هنا مأمونا ، وأنت تعرف
. . فليس لك أن تصب وقاحتك على نساء البيض ، وأن
توقف السيارة أمام بابى ، وأن تقودها بأقصى سرعة ، فى كل
مكان ، على هواك . . والآن ، تكلم ، ولكن . . تكلم كما ينبى !
. . أعنى كما يجب على زنجى أن يخاطب أبيض !

روبرت : ولكنى لست زنجيا ياكولونيل توم . اننى ابنك !

نورود (فى استخفاء) : إنك ابن كوزا .

روبرت : ان النساء لا ينجبن أطفالا من تلقاء أنفسهن .

نورود : الزنجيات لا يعرفن آباء أطفالهن . فانت ابن

سفاخ !

ويضم روبرت قبضته ، فيتناول الكولونيل مسدسه ،

وتهب الريح ، وتراقص الظلال .

روبرت : لقد سمعت هذا من قبل . سمعته من زوج . .

ومن بيض . والآن أسمع منك (ببطء) انك تتكلم عن أمى . .

وأنت والد أبنائها . (بفضب) كيف تسنى أن أشبهك لو لم

تكن أبى ؟

نورود : لا ترفع صوتك فى وجهى ، فأنا أسمعك (نصف

مبتسم) كيف تسنى أن يكون لوك أصفر ، ومرفقاك أجريين ؟

كيف تسنى ان يلقوا بك اليوم خارج مكتب البريد جزاء حديثك مع امرأة بيضاء ؟

روبرت : لم يكن لهم حق في القائي . . تماما كما لم يكن لك حق في ان ترفع عصاك اليوم ، واننا واقف عند باب هذا البيت ، الذي تقيم فيه بينما انام في كوخ مع عمال النخل . (يبطء) ولكن امي تنام معك !

نورود : الا يروق لك ذلك ؟ . . ماذا تملك ان تفعل ؟
روبرت (بعد فترة صمت) : اود ان اقتل جميع البيض في الدنيا !

نورود (وقد بها ينفعل) : الزوج امثالك يشنقون على الشجر . الست تحب عنصرك ؟ . . ومع ذلك ، لا تحب البيض ايضا ؟ . . من الواضح انك لا تحبني !

روبرت (في وداعة الطفل) : كنت احبك ، عندما علمت - لأول مرة - انك ابي . . عندما كنت غلاما ، قبل ان تضربني تحت سنابك الجياد .

نورود (ويده على مسدسه) : حقا ؟ . . ايناديني زنجي « بابا » ؟ كان خليقا بي . ان اقسم عنقك في تلك المرة الاولى . . كما كان خليقا بي ان اهشم رأسك اليوم ! . . كان يجب ان اتخلص منك قبل هذا ، ولكنك ابن كورا ، وقد حاولت ان اساعدك . (في غضب) علمتك بتساهل ، وارسلتك للمدرسة ، ودفعت نفقات تعليمك . ولكنك الليلة ستغرب عن هذا المكان . . ابرح هذه المقاطعة ! . . غادر هذه الولاية . . سيأتي « تالبوت » الليلة ليحدثني عن القطن ، وسأخبره بان يتولى اقضاءك . (يشير له نحو الباب الايسر لينصرف) قل لسام - وانت خارج - ان يأتي ، ليشعل الضوء .

روبرت (متواظفا) : دق له الجرس ، فلن اخرج من باب المطبخ . (يتجه نحو الباب الامامي) لست خادما ، ولن

تملى على ارادتك ، ولن تخبر تالبوت بان يطردنى كاي عامل
في الحقل لم تعد لك به حاجة .

**نورود (يقفز عن مقعده ، ويعترض طريق ابنه للباب
الامامى ، والمسدس في يده) : يا لك من ابن سفاح اسود !
ويتقدم « روبرت » نحوه ، فيلوى ذراعه حتى يسقط
المسدس على الارض . ويتراجع الشيخ في ألم وهياج ،
بينما يضحك « روبرت » ، ويقبض على عنقه ، قائلا : « لماذا
لا تطلق الرصاص يا ابي ؟ » . ويناضل « نورود » ، ويلهث
ثم يشهق مختنقا ، والفتى يشدد الضغط على عنقه ، وهو
لا يزال يضحك . . . وتقبل « كورا » - من رأس السلم -
فتصرخ ، وتسرع اليهما . . . واذا ذاك ، يلقى « روبرت »
بالكولونيل عند قدميها ، جثة هامدة ، فوق شريط كاللهب
من ضوء الشمس الغاربة . . .**

**روبرت (مهتاجا) : لماذا لم يطلق الرصاص يا اماء ؟ . .
لم يكن يريد أن أعيش . (ضاحكا) كان السيد . . الرجل
الابيض . . فلماذا لم يطلق الرصاص ؟
وتنكفيء « كورا » على جثة الكولونيل تناديه ، وتذكر
الفتى بأنه أبوه . . .**

**روبرت : لقد مات . . مات الرجل الابيض ! مات ابي !
(يضحك) ولكنى أعيش . . والزنوج يعيشون ! (يلتقط
المسدس) هذا ما أراد أن يقتلني به ، ولكنى مات . .
سأستخدمه ضد كل البيض في الدنيا ، لانهم لن يلبثوا أن
يقبلوا ليقتصوا منى .**

**وتنهض « كورا » - وقد انتبهت الى الخطر الذى يهدد
ابنها - فتستحثه على الاسراع بالهرب ، وعلى أن يخرق
الحقول ، الى منطقة المستنقعات ، فان الكلاب لا تستطيع أن
تشم الاثر في الماء .**

روبرت : لن أهرب من بيت أبي ، ولكني سأخرج من الباب الأمامي ، على مهل . فاذا وجدتهم سيلحقون بي قبل ان ابلغ المستنقع ، فسأعود يا أماه (بشهم وكبرياء) وسأدعهم يأخذونني من بيت أبي . . اذا استطاعوا .

وتستحثه أمه على الاسراع بالهرب ، فيفتح الباب الإمامي بهدوء ، ويشد قامته وهو يقف في أشعة الشمس المحترقة ، وكأنه في جدول من الدم ! . . وفجأة ، تظن الأم الى أن « تالبوت » . قادم مع أمين المخازن ، فتصعق ، وتتأوه . .

ويمضي الفتى ، بينما يقبل الرجلان يسالان (كورا) عن الكولونيل . . ولكن لسانها المعقود لا يجيب ، فيزيحها (تالبوت) عن الطريق ، لتلتصق بالحائط ، ويتقدم فيضيء المكان . . ثم يجهد الرجلان جزعا ، اذ يريان جثة الكولونيل . . ويسرعان لفحصها ، فيتبينان أن الرجل مات .

أمين المخازن (ينهض منفعلا) : ذلك الزنجي الذي وأيناه خارجا ! . . ابن كورا من السفاح !

تالبوت (يندفع نحو الباب) : سنقبض عليه . . التليفون في حجرة المكتب ، فاتصل برئيس الأمن (الشريف) ، وابستحث البيض ليطاردوا الزنجي !

ويندفع أمين المخازن الى حجرة المكتب ، ويروي القصة تليفونيا لرئيس الأمن ، ويحضه على دعوة كل البيض ، لينطلقوا نحو منطقة المستنقعات ، ومعهم كلاب المطاردة . بينما يحاول « تالبوت » أن يحمل « كورا » على الكلام ، ثم يدفعها . . وينطلق الرجلان الى الخارج ، ويعود الظلام للحجرة ، و « كورا » جامدة في وقتها . .

كورا : لن يستطيع ابني الوصول الى المستنقع ، فقد

استنفرا البيض الى هناك . ومن ثم فسيعود الى البيت . .
 لن تصل أيديهم اليه . . سأخبئه في حجرتي . . سأعد له
 مخبأ تحت أرض الحجرة ، تحت سريري . . (**وتتحول الى
 الجثة المسحاة**) أتسمعي يا كولونيل توم ؟ ابنتنا يحاول
 الهرب . (**في نقمة**) أنت قلت انه ابني . . ابني من السفاح
 . . ولكنه ابنك كذلك . . وهو يهرب في الظلام من قومك ،
 من البيض . . (**في ضراعة**) لماذا لا تنهض وتوقفهم ؟ انه
 ابنك . . عيناه كعينيك ، طوله كطولك ، شممه وكبرياؤه
 كشممك وكبريائك . . (**في لهجة أمرة**) لماذا لا تنهض
 وتوقفهم ؟ . . اتقول انه ليس ابنك ؟ ابني الأصفر من السفاح ؟
 (**بفخر وانفة**) أجل ، هو ابني . ولكن لا تقل انه ابن سفاح .
 لا تضع يديك البيضاءين عليه . . انه ابني ، ولن يمسه أحد
 من البيض . سأعد له مخبأ تحت سريري ، فلا تأت لمخدعي
 وهو هناك . لا تأت لمخدعي بعد اليوم ! انني ادعوك فتظل
 راقدا هنا ، وكنت تدعوني - في بهيم الليل - لتضاجعني ،
 فافتح لك ذراعي ! . . ان ابنتنا الأصفر يجرى في الظلام . .
 يجرى منك أنت الآخر . . انه ابنك ، ويهرب منك ! . . والكلاب
 والمسندسات لمع قومك ، و (**تالبوت**) وراءه بحبل ليشنقه
 . . ما أحسبك نائما يا كولونيل توم . ابنك تخدعني . ما كنت
 ساكنا هكذا في أي يوم . . (**في تقريع**) ابني يجرى خلال
 الحقول في الظلام . . كولونيل توماس نورود ، انك تطارد
 ابني المسكين ، الذي لا حول له ولا سند . . تطارده في الظلام
 لتشنقه . . (**تراجع يظهرها نحو السسلم** ، وهي ترمق
 الجثة) اللعنة عليك يا توماس نورود ! . . لعنة الله عليك !

المشهد الثاني

نفس المنظر السابق ، بعد ساعة ، وقد هبط الظلام . .

اقوى صرخة لزواج أمريكا ، في وجه التفرقة العنصرية ١٦٣

و « الحانوتى » يتكلم مع الخادم « سسام » عند الباب الخارجى ، وصيحات البيض المنطلقين فى المطاردة تتناهى من وراء المنظر . . .

الحانوتى : لم يكن للكولونيل أقارب ، فيما أعرف . . هل كل شىء من أمواله هنا فى حرز مكين . . ما أسوأ إلا يكون هنا أناس من البيض يرمعون أشياءه ، إذ انطلق البيض جميعا فى المطاردة . . أحسبهم سيظفرون بذلك الزنجى ويشنقونه قبل الساعة العاشرة ! . . وأين تلك الزنجيسة التى كان الكولونيل يعيش معها ؟ . . أود أن أراها . . أحملها على أن تهبط الى هنا !

ويصعد « سام » ، ولا يلبث أن يعود و « كورا » خلقه . . وتظل صامتة ، لا تتكلم ، بينما يتأملها « الحانوتى » مليا . .

الحانوتى : اذن فأنت « كورا » التى أنجبت أولئك الأولاد الزنوج المتعلمين ؟ . . أحسبك سترين أحدهم - عندما تستيقظين فى الصباح - مشنوقا ، ملء الجسم بثقوب الرصاص . . أو لعلهم سيحرقونه !

كورا (بهدوء) : الهذا دعوتنى ؟

الحانوتى : لا تتكلمى بهذه اللهجة . لعلك تحسبين أنه لم يعد هنا من يحكمك ؟ . . هات لنا شرايبا قبل أن ننصرف !

كورا : لا أتلقى أوامر إلا من الكولونيل نورود ، يا سيدى . .

وتابى أن تصدق أن الكولونيل مات ، فهى تعتقد أنه مع البيض الذين يطاردون ابنها . . ولا يلبث « الحانوتى » أن ينقل التابوت الى عربة الموتى ، وينطلق . . ويصعد « سام » ويجزع ، لأصرار « كورا » على أن الكولونيل على قيد الحياة ، فينسحب هو الآخر . . وتغلق « كورا » الباب الامامى ،

وتسدل الستائر ، ثم تنظر الى البقعمة التي كان الكولونيل مسجى فيها . .

كورا : كل الملونين يهربون منك الليلة يا كولونيل توم المسكين . . ما كان لك أن تنطلق مع الفوغاء . . اننى لاتذكر يوم شنقوا « ليوك جوردون » ، اذ أرسلت كلابك معهم ، ثم قتلت الكلاب في الصباح التالي . . كان قلبك رقيقا ، لا يرضى عن هذا الأسلوب . . وقلت لى - وأنت فى فراشى ذات ليلة - أنك تسمع نباح الكلاب وأنت نائم . . ولكنك كنت معهم يوم أحرقوا المحكمة ، حيث كان الفتى - الذى قيل انه احتضن فتاة بيضاء - خبيسا . . وها أنتذا الآن تطارد ابنى . . (فى عجب) رجال بيض ، ونساء ملونات ، وأولاد سفاح . . هكذا الحال فى الجنوب ، ولكن هذا كله انتهى الآن . ان لك ثلاثة اخوة سمر ، أنجبهم أبوك من الخالة « سالى ديل » . . ان لك أقارب ملونين ، ينتشرون فى المقاطعة . .

ويقبل « وليم » ، فيمكث ساكنا ، اذ يراها تجلس ، وتحديق امامها دون أن تبصر . . ثم يخبرها بأنه فكر فى اصطحاب زوجته وولديه ، ليلوذوا بحمى الكنيسة . . ويحاول اقناعها بأن تصحبهم . .

كورا : لسوف يعود أخوك يا بنى ، ولن اكون وحدى . . لن يقبضوا عليه ، وسيعود لى ، وسأتولى حراسته . . وسيأتى الكولونيل بالتأكيد . . سيأتى وراء ابنه ! (يحمق فيها ويليم منهولا) اذهب يا بنى ، فأنت لم تكن يوما مثل الكولونيل أو مثل « بيرت » . . أحسب أن قسطا كبيرا من دمي انتقل اليك . فما أحببت « بيرت » يوما ، وكنت دائم الخوف من الكولونيل . أنك لم تؤذ أحدا ، ولم تتمرّد على احد . وكذلك كنت أنا ، حتى الليلة ! (يخاطب الفضيال حولها) لقد حاولت ان أعيش مستقيمة يا الهى ! (بغضب)

حاولت ان اعيش مستقيمة يا الهى ! (تطوح بذراعيها ، وكانها تقول : ها هي ذى النتيجة !) ماذا جرى يا الهى ! انك لست معى !

ويقرب نباح الكلاب ، فينصرف « وليم » مهرعا ، خائفا .

كورا (تنحنى على البقعة التى كان الكولونيل مسجى فيها) : كولونيل توم ! اسمع ! ان بيرتا وسام وويليم وبيرت . . كل اولادك يهربون منك ، وانت مستلق على الارض ، ميت ! وانت فى الخارج مع الحشد ، ميت ! وعندما تاتى ، وتصعد ، ونام فى سريري ، ميت ! (تجلس وتتسكلم كأنها تتذكر جلما بعيدا) لست سوى كورا لويس المسكينة ، يا كولونيل نورود ! فتاة فى الخامسة عشرة من عمرها . منذ ثلاثين سنة ، مدت يديك وتحسست ثديي ، وقلت : (يا لك من قطعة لحم جميلة ! سوداء وحلوة !) وجنبتنى اليك ، ونمنا تحت الأشجار ، وانا أسائل نفسى ، ترى هل يقدر لزوجتك ان تعرف ، عندما تعود اليها ! . . وكانت امي تقول انها ارضعتك كما ارضعتنى ! . . ولكم بكيت ، ثم قلت لامي ما جرى ، فلم تغضب كما ظننت ، بل قالت ان الرجال البيض الراقين يعنون دائما بنسائهم السوداوات . . وان هلا افضل من ان اتزوج من زنجى يعمل طيلة عمره فى حقول القطن وقصب السكر (صيحات الحشد تقترب باطراد ، ونباح الكلاب يزداد وضوحا) وكنيت سعيدة ، لاننى احببتك . وعندما ماتت زوجتك (فى لوم) التى لم تنجب لك طفلا واحدا ، أدركت انك تريدنى . كنت اذ ذاك حبلنى بأول اولادنا - « وليم » - وجئت ادبر شئون بيتك وانظفه . . وشيئا فشيئا ، لم تشأ ان افعل شيئا ، وأصبح الزوج الآخرون يخدمونك ويخدموننى . . ولم أعد افعل شيئا سوى الحياكة - من آن

لآخر - وحفظ فواكه الصيف ، واعداد فطائر وكمك عيد ميلادك . . . وكنت دائما على استعداد ، حين تأتي في الليل . . . وانجينا اولئك الأطفال معا . . . ولكن « روبرت » كان اقربهم اليك ، وأشبههم بك . كان مليحا ، رقيقا ، صلب الرأس ، غريبا ، عنيدا ، متكبيرا مثلك . . . وكان احبهم الى قلبي ، لأنه كان محتاجا الى الحب . . . وكان يريد أن يدعوك « بابا » ! ولقد حاولت أن أردعه ، ولكنه لم يرتدع . . . وضربته انت يا كولونيل توماس نوروود ، فتغلغل الضرب في قلبه . . . وفي هذا الصيف ، أصبح يشبهك كما عرفتك - في البداية - تحت الشجر ! . . . وما كنت أملك سوى أن أحبه ، كما كنت أحبك ! . . . ولكنه كان يكرهك ! . . . لقد ورث عنك طباعك ، ومع ذلك فانك ضربته . . . وبعد أن ضربته مت ! وكنت تعيش ميتا طيلة هذه السنوات الطويلة ! . . . وعندما سألتك الليلة ان تساعدني ، كنت ميتا من زمن بعيد . . . و « روبرت » يقف فوق حثمانك حيا ، حيا ! . . . لماذا كنت تكرهه ؟ لماذا كنت تريد قتله ؟ . . . ولكنك لن تقتله ! سيأتي الى هنا أولا ، سيأتي لي . . . انه عائد لي !

ويشتد الضجيج في الخارج ، وتنبعث أضواء السيارات خلال النوافذ مخترقة الستائر ، وتظل كورا جالسة ، مترقبة . . . وتتعالى أصوات من الخارج ، تدعو الى محاصرة البيت والأشجار المحيطة به . . . ثم يصرخ صوت بان الفتى الزنجي يهرع الى الباب . . . وينبعث صوت طلقات نارية . ويفتح الباب فجأة ، ويدخل « روبرت » وهو يرد على الطلقات بمثلها . . . ويسمع تهشم زجاج ، وصرخات ، وسباب . . . وتقفز « كورا » فتحكم رتاج الباب . . . كورا (مستندة الى الباب) : كنت في انتظارك يا حبيبي . . . مخبأك معد ، تحت سريري . . . شققت لك في الخشب فجوة ، ولن يمشروا عليك . . . أسرع ، قبل أن يأتي أبوك !

روبرت (لاهثا) : الوقت لا يتسع للاختباء . سيقتحمون البيت (اصوات طرققات و زجاج يتهشم) من الابواب . . من النوافذ . . سيأتون من كل مكان . ولم تبق سوى رصاصة واحدة يا امي . . رصاصة لي !

كورا : ادخرها لنفسك . اصعد ، ونم على فراشي ، واسترح !

روبرت (يصعد السلم يبطء) : عمى مساء يا اماه ! . . لقد تعبت من الجري ، فقد ظلوا يطاردوننى ساعات !

وتقف « كورا » في أسفل السلم . وبينما « روبرت » في اعلاه ، يتداعى الباب الامامى تحت ضغط البيض المهتاجين ، وفي مقدمتهم « تالبوت » .

تالبوت : اين ابن السفاح الاصفر . . ابنك . افى الطابق الاعلى هو ؟

كورا : نعم . سينام ، فالزموا الهدوء . وانتظروا !

وتسد الطريق الى السلم بذراعيها ، ولكنهم يندفعون . . وينبعث من الطابق الاعلى دوى طلق نارى ، فترسل « كورا » اشارة حب ووداع ، نحو حجرتها . . ويتدفق الناس في المكان ، صائحين ، صارخين . . وفجأة ، يبدو « تالبوت » عند رأس السلم ، فيسود الجميع صمت مترقب . .

تالبوت : فانت الفرصة يا رجال . . لقد تأخرنا قليلا !

وتنبعث من القوم زفرة استياء . . ويهبط « تالبوت » السلم ، فيسير الى « كورا » ، ويصفعها على وجهها ، صفعة واحدة . ولكنها لا تتحرك ، وكأنها مطمئنة الى انه لم يعد في وسع يد بشرية ان تنال منها . .

((وتهبط الستار))

(بقية المنشور في صفحة ٨)

جديدة بدأت تنشر له رواياته التالية سلسلة قبل جمعها في كتاب ، فظهرت له : مغامرات القبطان « هاتيرا » (١٨٦٤) ، ثم رحلة الى جوف الارض (١٨٦٤) ، تليها « من الارض الى القمر : رحلة مباشرة في ٩٧ ساعة و ٢٠ دقيقة » (١٨٦٥) .

• ثم انشا « فيرن » سلسلة (رحلات خارقة للمالوف) - التي استمرت اربعين عاما - فنشر فيها على التوالي : ابناء القبطان جرائنت (١٨٦٧) ، ٢٠ الف فرسخ تحت الماء (١٨٦٩) ، حول العالم في ٨٠ يوما (١٨٧٣) ، الجزيرة الفامضة (١٨٧٤) ، ميشيل ستروجوف (١٨٧٦) ، الهند السوداء (١٨٧٧) ، قبطان في سن ١٥ (١٨٧٨) ، مغامرات صيني ، ٥٠٠ مليون ييجوم (١٨٧٩) ، الشماع الاخضر (١٨٨٢) ، كيربان العنيد (١٨٨٣) ، الحريق (١٨٨٤) ، مائيا ساندورف (١٨٨٥) ، « روبر » الفاتح (١٨٨٦) ، اجازة لعامين (١٨٨٨) ، القصر (١٨٩٢) ، الجزيرة (١٨٩٥) ، مواجهة الراية (١٨٩٦) ، « اوريتوك » الرابع (١٨٩٨) ، ماساة في ليفونيا ، سيد العالم (١٩٠٤) . وفيما عدا هذه المؤلفات الأكثر شهرة ، كتب « فيرن » عشرات الكتب الأخرى التي لا يتسع المجال لسرد عناوينها .

• وكان فيرن - بعد نجاحه - قد انتقل في عام ١٨٦٦ الى منزل فاخر في (كروتوى) ، بحوض « السوم » ، كما اشترى سفينة للصيد أطلق عليها اسم « سان ميشيل » ، تيمنا باسم ابنه ، ووصفها بأنها « مكتبه العالم » ، وعلى ظهرها كتب قصته (٢٠ الف فرسخ تحت الماء) . وفي عام ١٨٦٧ سافر في رحلة الى الولايات المتحدة الامريكية . وفي عام ١٨٧٤ اشترى « يختا » فاخرا (سان ميشيل الثاني) ، وبلغ قمة مجده وراثته خلال السنوات ١٨٧٢ - ١٨٨٦ ، فاشترى يختا آخر (سان ميشيل الثالث) . وفي ١٨٧٨ التقى بالشاب اريستيد بريان (رئيس وزراء فرنسا فيما بعد) ، فسافرا معا في رحلات عديدة في البحار والأقطار الأوروبية . وكان فيرن قد فقد اباه في عام ١٨٧١ ، وامه في ١٨٨٧ ، وشقيقه بول في ١٨٩٧ . وفي ١٩٠٢ اصيب بالياه الزرقاء في عينيه . ومن مآسى حياته اصابته في عام ١٨٨٦ برصاصتين من قريب له ذى لثة ، وعلى اثر شفائه هجر باريس وعاش بقية حياته في (آميين) حيث فاز في انتخابات المجلس البلدى ، فتقاسمته اعباء التأليف والادارة المحلية ، خلال اعوامه التالية ، حتى ادركته منيته في داره بالمدينة ، في ٢٤ مارس ١٩٠٥ ، عن ٧٧ عاما .

ترقب في اول مارس ، في العدد الجديد الفاخر من

مطبوعات كتابي

هذه القصة الانسانية الرائعة

اقوى ما كتب الروائي المسالى ((ستيفان زفايج)) :

ترجمة : حلمي مراد

« .. كان صباح الفجر ما يزال يظن مباني البلدة ، حين خرجنا في اليوم التالي لنقوم بجولة الصباح ، وفيما نحن نركض بجيادنا باقصى سرعتنا ، ونسيم البكور الندي يحمل الى انفسنا عطر الحقول الزدهرة ، فنعب منه جرات تملأ صدورنا انتعاشا وحبورا ، ودماء الشباب الدافئة تتدفق في اجسامنا النابضة بالحياة .. لاحت لنا من بعيد اسوار القصر البيضاء ، وللور طعن قلبي احساس مياقت بالرائل للفتاة ، المحرومة من نشوة الصحة والحرية ، والفرجة بقوة الشباب .. خيل الى انه قد يجرح شعورها ان تراني هكذا منطلقا كالسهم المارقي او الطائر السعيد .. وشعرت بالخجل من سعادتى الجسمانية ، كما يفجل المرء من امتياز لا يستحقه .. لكن لهنى تصدى لعاطفتى بالحجة المقتعة والمنطق السليم ، فلم البث ان تبينت سخافة الدلال النفس على هذه الصورة . ادركت انه لا جدوى في ان ينكر الانسان على نفسه متعة ما ، لا لشيء الا لان غيره محروم منها ، ويأبى على نفسه السعادة ، لان غيره شقي . . ففي الوقت الذي تضحك فيه ، وتبادل التكات ، يوجد اناس - في اماكن مختلفة من العالم - راقدين على فراش الموت .. يا آخرون ، خلف الف نافذة ونافذة ، يعانون البؤس ، او يتضورون جوعا .. وهناك المستشفيات المليئة بالمرضى والجرحى .. والسجون العامة بالمعذبين .. والمصانع والناجم والكاتب التي يشقى فيها الملايين من البشر ، في كل ساعة من ساعات النهار .. ولن يخفف من شقاء انسان واحد ان يشقى انسان آخر نفسه بنفسه ، بغير مبرر .. بل لو حاول شخص ان يفكر في مأسى الغير ، ويصور لنفسه صنوف البؤس التي تنطوي عليها الدنيا في كل وقت ، لاستعصى عليه النوم ، وماتت البسمات على شفثيه الى الابد ! »

« وفجأة .. فتح الباب ، ودلغت منه لفة هواء ، اعقبها فتاة جميلة سمراء ، ذات عينين لوزيتين ، ترتدى ثوبا انيقا .. يا الله ! ما اجمل رقعتى القطيفة السمراء المدعوتين عينيها ! كانتا مثل حبات « البن » ، وحين تضحك كانتا كأنما تحدثان صوت البن انما . « تحميصه » على النار .. وكانت لها اذنان صغيرتان تكادان تكونان شفاطين ، تختبان تحت ثروة كبيرة من الشعر الفاحم الغزير .. ولها ذراعان ماريتان ، خيل الى ان ملمسهما لا بد يشبه ملمس الخوخ المشور ! »

محتويات العدد

الصفحة	الموضوع
٥	من الأرض .. الى القمر ! : الرواية التي تنبأ فيها الروائي الفرنسي ((جون فيرن)) منذ ١٠٥ أعوام بالهبوط على القمر ، تلخيص : ميشيل تكللا
٥٠	الدراسات العلمية في أدب فيرن : تعقيب ومقارنة بين كبسولة جول فيرن (في عام ١٨٦٥) والمركبة أبولو ١١ (في عام ١٩٦٩)
٥٥	الحياة الجنسية عند الاغريق : للباحث الاجتماعي ((هانز ليشنت)) ، تلخيص : محمد بدر الدين خليل
٧٧	((فلوير)) في مصر ! : صفحات نادرة من مذكرات مؤلف ((مدام بوفاري)) عن رحلته الطويلة في ربوع مصر ، وانطباعاته ، ومغامراته فيها ، منذ ١٢٠ سنة ! .. بقلم : حلمي مراد
١٢٣	العهد : قصة كبرى للكاتب السويسري المعاصر ((فريدريش دورينمات)) ، عرض وتلخيص : الدكتور حسين مؤنس
١٤١	ابن الجارية : دراما للروائي الزنجي المعاصر ((لانجستون هيلوز)) ، اطلق فيها أقوى صرخة لزنوج أمريكا في وجه التفرقة العنصرية !
	٢٠ ألف فرسخ تحت الماء : الرواية الشهيرة التي ألفها « جول فيرن » عام ١٨٦٩ ، وتنبأ فيها باختراع « الغواصة » : مبسطة للأولاد والبنات .

هدية العدد :
مجلة الصغار
في ٣٢ صفحة
منصحة .

كتاب

تصدرت عن مؤسسة مجدية عربية

الإدارة : ٩٢ شارع قصر العين بالقاهرة - ت ٣١٨١٠ • مكتبة دار الشعب - ت ٢٩٩٩١

التوزيع : مكتبة دار الشعب

أخصائيو في الطبقات المساجلة

رئيس مجلس الإدارة

الطابع : مطبعة دار الشعب

العدد : ٤٤٤٨١



مكتبة الشباب
 ونوع هيلين كيلر
 ١- النبوة الحادي عشر
 ٢- طيات العروة الوثقى
 ٣- قصص حرة بالبرق
 ٤- لغز من الغرائب

مكتبة
 قصص حرة بالبرق
 ونوع هيلين كيلر
 ١- النبوة الحادي عشر
 ٢- طيات العروة الوثقى
 ٣- قصص حرة بالبرق
 ٤- لغز من الغرائب

مكتبة
 ألفا قصة
 و ألفا قصة
 من المراتب
 العملاقة
 قصص حرة بالبرق
 ونوع هيلين كيلر

مكتبة
أدب الشيشما
 قصص حرة بالبرق
 ونوع هيلين كيلر

مكتبة
القصص الشعبي
 قصص حرة بالبرق
 ونوع هيلين كيلر

مكتبة
القصص العجلى
 قصص حرة بالبرق
 ونوع هيلين كيلر

مكتبة
 قصص حرة بالبرق
 ونوع هيلين كيلر

مكتبة
الحياة الخامسة
 لمعاقرة الإنسانية
 قصص حرة بالبرق
 ونوع هيلين كيلر

مكتبة
القصص الواقعي
 من فاضل ورجل العبد
 ونوع هيلين كيلر

مكتبة
الرجال الاحمرات
 قصص حرة بالبرق
 ونوع هيلين كيلر

مكتبة
الامرأة
 قصص حرة بالبرق
 ونوع هيلين كيلر